الفصل الرابع

منتخبات من شعر جرير

١ ـ الشاعر السياسى

لولا الخليفة

قال جرير يؤيد الخلافة الأموية ، ويفضل آل مروان ، ويذكر صلة الخلافة بالدين ، وأن الدين لا يقوم بغير خلافة عبد الملك أمين الله العادل الشجاع ، الذى لا يفل غربه ، ولا ينبو ضربه ، والإمام المتبع ، والمبارك المطاع من آل مروان الجامعين لكل فضل ، يدين الرجال لصولته ، ويصيبون من عفوه وكرمه ، ويبايعونه على السمع والطاعة :

لَوْلاَ الخليفـــةُ وَالْقرآنُ يَقرؤُهُ ... ما قامَ لِلنَّاسِ أحكام وَلا جُمَعُ

أَنتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللهِ لا سرَفٌ ... فِيما وَلِيتَ وَلا هَيَّابةٌ وَرِعُ[1]

مِثلُ المُهنَّدِ لم تُبْهَر ضريبتُهُ ... لم يَغْشَ غَرْبَيْهِ تَفليلٌ ولا طَبَعُ[2]

وَارِى الزِّنادِ منَ الأَعياصِ فى مَهَلٍ ... فالعالمون لِما يقضِى به تَبعُ[3]

أَنْتَ المُبارَكُ يَهدِى اللهُ شِيعَتَهُ ... إذا تفرَّقَتِ الأَهْوَاءُ والشِّيَعُ

فَكلُّ أَمْرٍ عَلَى يُمْنٍ أَمَرْتَ بهِ ... فِينا مُطاعٌ ومَهما قُلتَ مُستمَعُ

يا آلَ مَرْوَانَ إنَّ اللهَ فضَّلَكمْ ... فَضْلًا عظِيماً عَلَى مَن دِينُهُ الْبِدَعُ

الجامِعِين إذَا ما عُدَّ سَعيُهُمُ ... جَمْعَ الكِرامِ وَلا يُوعُونَ ما جمَعُوا

---

(١) الهيابة الورع : الجبان .

(٢) تبهر : تغلب . وغرب المهند : حد السيف . وتفلت مضارب السيف : تكسرت . والطبع : كثرة الصدأ على السيف .

(٣) الأعياص : من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص . وفى مهل : المهل التقدم فى الخير ، وأسلاف الرجل المتقدمون .

تَلْقَى الرِّجالَ إذا ما خِيفَ صولتُهُ يَمشون هَوْناً وفى أعناقِهِمْ خَضَعُ[١]
فإنْ عَفَوْتَ فضَلْتَ الناسَ عافيَةً وَإن وقعْتَ فما وَقْعٌ كَما تقعُ
ما كانَ دُونكَ مِن مَقضّى لحاجَتنا ولا وراءَك لِلحاجاتِ مُطّلَعُ[٢]
إنَّ البريَّةَ تَرضى ما رَضيتَ لها إن سِرْتَ سَارُوا وَإن قُلتَ ارْبَعُوا رَبَعوا[٣]

السَّيْفُ الْمُجَرَّدُ بِالْحَقِّ

لا يقوم الجهاد والدين إلا بأمير المؤمنين الإمام العادل ، وبسيف الحجاج الباتر ، يجرده بالحق على أعداء الخليفة والدين ، من أهل العراق ومن لف لفهم ، ويدعو به إلى الهدى وإلى طريق مستقيم :

ولولاَ أَميرُ المومنـــين وأَنَّهُ إمامٌ وعَدلٌ لِلبَريَّةِ فاصِلُ[٤]
وَبَسْطُ يَدِ الحَجَّاجِ بالسيفِ لم يكن سبيلُ جهادِوَا سْتبيح الْحلائلُ[٥]
إذا خافَ دِرْءٌ مِن عدوّ رَمى بهِ شديدُ القُوَى والنَّزع فى القوسِ نابل[٦]
خليفةُ عدلٍ ثَبَّتَ اللهُ مُلْـكهُ على راسياتٍ لم تُزِلْها الزَّلازِل[٧]
دَعُوا الجُبْنَ يا أهل العراقِ فإنما يُباحُ ويُشرى سَبيُ من لا يقاتلُ[٨]
لقد جرَّد الْحَجَّاجُ بالْحقِّ سيفَهُ لكم فاستقيموا لا يميلَنَّ مائلُ[٩]
فما يستوِى داعى الضَّلالةِ والْهُدى ولا حُجَّةُ الخَصمين حَقٌّ وباطلُ

---

(١) خضع : تطامن واستكانة .
(٢) مطلع : مقصد ومصعد .
(٣) اربعوا : قفوا .
(٤) البرية : الخلق .
(٥) الحلائل : جمع حليلة الزوجات .
(٦) الدره : الدفع والمخالفة . ونزع فى القوس : مدها . ونابل : معه نبل حاذق بالنبالة .
(٧) الراسيات والرواسى : الثوابت والرواسخ .
(٨) السبى : الأسر .
(٩) جرد سيفه : شهره وعراه من غمده .

وَأصبحَ كالْبازِى يُقلِّبُ طَرْفَهُ ... على مرْبأٍ والطيرُ منهُ دواجِلُ[١]

وخافُوك حتى القومُ تنزُو قلوبُهُم ... نُزاءَ القطا التَفَّتْ عليهِ الحبائلُ[٢]

وما زِلْتَ حتى أسهلت من مخافةٍ ... إليكَ اللَّواتِى فى الشُّعُوفِ العواقل[٣]

وَثِنتانِ فى الحجَّاجِ لا تَرْكُ ظالِمٍ ... سوِيًّا ولا عِنَد المُراشاةِ نائل[٤]

وَمَنْ غَلَّ مالَ اللهِ غُلَّتْ يمينُهُ ... إذا قيل أَدُّوا لا يَغُلَّنَّ عامِل[٥]

قَدِمتَ على أَهلِ الْعِراقِ ومنْهُمُ ... مُخالِفُ دِينِ المسلمين وَخاذِلُ

فكنْتَ لِمَنْ لا يُبْرِئُ الدِّينُ قَلْبُهُ ... شِفاءً وَخَفَّ المُدْهنُ المُتثاقِلُ[٦]

سَلكتَ لأَهلِ البَرِّ برًّا فَنِلْتَهم ... وفى اليمِّ يأْتَمُّ السَّفِينُ الجوَافِل[٧]

لَقَدْ جَهَدَ الحَجَّاجُ فى الدينِ واجتبِي ... جَبًا لمْ تَغُلْهُ فى الحِياضِ الغوائل[٨]

وما نام إِذْ باتَ الحَواضِنُ وُلَّهًا ... وَهنَّ سَبايَا للصُّدُورِ بَلابِل[٩]

أَطيعُوا فلا الحَجَّاجُ مُبقٍ عليكُمُ ... ولا جِبْرَئيل ذُو الجناحين غافِلُ

---

(١) البازى : من جوارح الطير ومنه نوع بمصر ، فيه نشاط وحذر ، لا يأوى إلا إلى الأماكن العالية ، يغادر وكره مبكراً ويعود إليه متأخراً . والمربأ : المكان المرتفع يقف عليه المراقب . دواجل : أى تدخل الدجل لتستتر فيه ، والدجل : نقب ضيق فمه ، متسع أسفله .

(٢) تنزو : تثب وتضطرب . والقطا : طائر من نوع الحمام . الحبائل : جمع حبالة وهى شبكة الصيد .

(٣) أسهلت : نزلت إلى السهل . والشعوف : أعالى الجبل واحدها شعفة . والعواقل : المتحرزات . المفرد عاقل ، وهو الوعل الممتنع فى أعلى الجبل .

(٤) المراشاة : المصانعة . من الرشوة وهى إعطاء المال لتغيير الحقيقة . والنائل : العطية .

(٥) غل : خان . غلت يمينه : وضع فيها القيد .

(٦) المدهن : المصانع الملاين .

(٧) يأتم : يقصد . اليم : البحر . السفين : جمع سفينة . الجوافل : المسرعة والنافرة .

(٨) اجتبى : اختار . الجبا : أصله الحوض الذى يجمع فيه الماء للإبل .

(٩) الحاضنة : التى لها صغير تربيه . الوله : جمع والهة : الشديدة الحزن والجزع على ولدها . وبلابل الصدور : وساوسها وبرحاؤها .

تَمَنَّى شبيبٌ مُنيةً سَفُلَتْ بهِ وَذُو قَطَرِىٍّ لَفَّهُ مِنكَ وَابِلِ[١]
تقولُ فلا تُلقَى لِقولِكَ نَبْوَةٌ وتَفْعَلُ مَا أَنبأْتَ أَنَّك فاعِلِ[٢]

سِرْبَالُ المُلْك

يؤيد جرير المروانيين ، فيجعل الخلافة سربالا يلبسه الله من يشاء فضلا منه ومنًّا ، ويذهب آل مروان بهذا الفضل ، وبالأخذ بأسباب المجد ، كما فضلهم الله فى القدم بسموق النسب ، وكرم المحتد ، فما يزحزح عنهم ملكهم ، ولا يزعزع غابر مجدهم :

يَكْفِي الخَلِيفةَ أَنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبال مُلكٍ بهِ تُزْجَى الخَوَاتيمُ[٣]
مَنْ يُعْطِهِ اللهُ مِنْكمْ يُعْطَ نَافِلةً وَيَحرِم اليوم مِنكم فَهوَ مَحْرُوم[٤]
يا آلَ مَرْوانَ إنَّ اللهَ فَضَّلَكمْ فَضْلاً قَدِيماً وَفِى المَسْعَاةِ تقويمُ[٥]
قَوْمٌ أَبوهُمْ أَبُو العَاصِى وَأَوْرَثَهُمْ جُرْثومةً لا تُسَامِيهَا الجَرَاثيمُ[٦]
مَا المُلكُ مُنْتَقِلٌ مِنكمْ إلى أَحَدٍ ولا بِنَاؤكُمُ العادِىُّ مهْدُومُ[٧]

نصر من الله

وقال يناصر يزيد بن عبد الملك ، المثبت بكتاب الله وقدره ، ويعرض بأعدائه ، الذين قطع الله دابرهم ، وأيده بنصر من عنده :

زَانَ المَنَابَر وَاخْتالَتْ بِمُنْتَجَبٍ مُثَبَّتٍ بِكِتَابِ اللهِ منصورِ[٨]
يَكفِى الخَلِيفةَ أَنَّ اللهَ فَضَّلَهُ عَزْمٌ وثِيقٌ وَعَقْدٌ غَيرُ تَغرِير

---

(١) روى : فتنة سفلت به . ذو قطرى : أراد قطرى وذو زائدة . وشبيب وقطرى : من زعماء الخوارج . وابل : مطر شديد .
(٢) نبوة : انحراف .
(٣) سربله : ألبسه السربال ، والسربال : القميص . تزجى : تساق .
(٤) نافلة : عطية .
(٥) المسعاة : المكرمة والعلاء فى ضروب المجد .
(٦) جرثومة الشىء : أصله .
(٧) العادى : القديم .
(٨) المنتجب : المختار .

ما يُنْبِتُ الفَرْعُ نَبْعاً مثلَ نَبْعَتِكمْ ... عِيدَانُهَا غَيرُ عَشَّاتٍ وَلاَ خُور[١]

قَدْ أَخْرَجَ اللهُ قسْرًا مِن مَعَاقِلِهمْ ... أهلَ الحُصونِ وَأَصحَابَ المَطَامِيرِ

كَمْ منْ عَدوٍّ فجذَّ اللهُ دابِرَهُمْ ... كادُوا بمكْرِهِمُ فارْتدّ فى بور[٢]

وَكانَ نصرًا منَ الرّحمٰنِ قدَّرهُ ... واللهُ رَبُّكَ ذو مُلكٍ وتَقدِيرِ

ولى العهد عبد العزيز

أراد الوليد بن عبد الملك فى آخر أيامه ، أن يحول ولاية العهد من أخيه سليمان إلى ولده عبد العزيز، ودس فى ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير يؤيد الوليد فيما أراد ، ويحضه عليه ، ويدعو لولى العهد عبد العزيز بن الوليد[٣] :

إلى عبدِ العزِيزِ سَمتْ عيونُ الـ ... ـرَّعِيةِ إنْ تُخيِّرت الرِّعـاءُ

إليهِ دعتْ دوَاعِيه إذا ما ... عمادُ المُلْكِ خرَّت وَالسماءُ

وَقالَ أولُو الحُكومةِ من قرَيشٍ ... عَلينَا البيعُ إذ بَلغَ الغِلاءُ[٤]

رأَوْا عبدَ العزِيزِ وَلىَّ عهدٍ ... وما ظَلمُوا بذَاك ولا أَساءُوا

فزَحْلِفهَا بأَزْفُلِها إليهِ ... أَميرَ المؤمنينَ إذا تَشَاءُ[٥]

فإنَّ الناسَ قد مدُّوا إليْه ... أَكُفَّهمُ وَقد بَرِحَ الخفَاءُ

وَلوْ قَدْ بايعُوكَ وَلىَّ عهدٍ ... لقَام القِسْطُ وَاعتَدَلَ البنَاءُ[٦]

---

(١) النبع : شجر للقسى وللسهام . الشجرة العشة : الشيمة المنبت الدقيقة القضبان .

(٢) جذ : قطع . جذ الله دابرهم : أهلكهم . بور : هلاك .

(٣) « الديوان والنقائض » .

(٤) الغلاء : بفتح الغين وكسرها من المغالاة والمسابقة .

(٥) زحلفها إليه : ادفعها . بأزفلها : بأجمعها .

(٦) القسط : العدل . وفى « رواية النقائض » : الوزن .

خير خليفة

إذا قِيلَ أَىُّ الناسِ خَيرٌ خليفةً ... أَشَارتْ إلى عبدِ العزيز الأَصابعُ

رَأَوْهُ أَحقَّ الناس كلهمُ بها ... وَما ظَلَمُوا إنْ بايعُوهُ وسارعُوا

غدر وانتقام

من الحوادث السياسية التى سجلها جرير فى شعره : غدر بنى مجاشع بالزبير بن العوام ، وهو منصرف من وقعة الجمل ، حين قتله عمرو بن جرموز بن الذيال واستولى على سلبه .

ومنها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى ، وكان على جيش خراسان ، فبطش ببنى الأهتم ، وخلع سليمان ابن عبد الملك ، فشغب به وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود المربوعى وقتله ، وبعث برأسه إلى سليمان ، وفى هذين الحادثين يقول جرير :

فَمَا وَجَد الجِيرانُ حَبلَ مجاشعٍ ... وَفِيًّا وَلا ذا مِرَّة فى العزائم[1]

ولامتْ قريشٌ فى الزُّبير مُجاشِعاً ... ولم يَعذِروا مَن كان أَهلَ المَلاومِ[2]

وقالت قُريشٌ لَيتَ حبلَ مُجاشِعٍ ... دَعَا شَبَثاً أَوْ كان جارَ ابنِ خازمِ[3]

ولوْ حَبل تَيْمىٍّ تَناولَ جارُكمْ ... لما كان عارًا ذكرُه فى المواسمِ[4]

فغيْرُك أَدَّى للخليفــةِ عهدَهُ ... وغيرُكَ جَلَّى عن وُجُوْر الأَهاتمِ[5]

---

(١) ذو مرة : قوة وشدة . العزائم : ما يعزم عليه من الأمور .

(٢) الملاوم وجمع ملامة .

(٣) شبث بن ربعى الرياحى . وابن خازم هو عبد الله بن خازم صاحب خراسان . وجار مجاشع : الزبير بن العوام قتله عمرو بن جرموز .

(٤) تيمى : تيم الرباب .

(٥) حج سليمان بن عبد الملك ، فبلغه بمكة إيقاع وكيع بقتيبة ، فذكر غدر تميم وإسراعهم إلى الفتن ، فقام الفرزدق ، وفتح رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هذا ردائى رهن لك بوفاء تميم ، والذى بلغك كذب . ثم جاءت بيعة وكيع لسليمان فقال الفرزدق :

فدى لسيوف من تميم وفى بها ... ردائى وجلت من وجوه الأهاتم

فناقضه جرير بقوله :

فغيرك أدى للخليفة عهده ... ...

البيت : يعنى وكيع بن أبى سود المربوعى .

جلى : كشف الخطب وأذهبه . الأهاتم : بنو الأهتم بن سمى بن سنان .

فإنَّ وَكيعاً حين خارتْ مُجاشعٌ ... كفَى شعْبَ صدْعِ الفِتنةِ المُتفاقِمِ (١)
لقد كنتَ فيها يا فَرَزْدَقُ تابعاً ... وريشُ الذُّنَابَى تابعٌ للقوادِمِ (٢)
ندافعُ عنكم كلَّ يَوْمٍ عظيمةٍ ... وأنت قُراحيٌّ بسَيْف الكواظِمِ (٣)
أَباهِلَ ما أَحبَبتُ قتلَ ابنِ مُسْلمٍ ... ولا أن تَرُوعوا قوْمَكُمْ بالمظالِمِ (٤)
أَباهِلَ قد أَوْفيْتُمُ منْ دِمائِكمْ ... إذا ما قتلتمْ رَهطَ قَيْسِ بنِ عاصمِ

رَضِينَا بالخليفَة

قال يؤيد الخليفة هشام بن عبد الملك ويشكو سوء حاله ، من قصيدة يمدحه بها ، ويقال : إنها آخر قصائده ، وقد أرسل بها إليه مع ابنه عكرمة .

ومن يقرأ الأبيات التالية يجد سهولتها المفرطة فى السهولة ، ويحس ما فيها من نبرات موسيقية شعبية ، كالذى نقرؤه فيما تنشره الصحف ، أو نسمعه فيما ترسله الإذاعة على موجات الأثير ، بعبارة يفهمها كل إنسان ، وتتأثر بها كل نفس ، وهذا هو منهاج الدعاية السياسية فى عصورها الحديثة ، سلكه جرير من قبل ، فكان من دعاة السياسة الأموية البارعين :

أَبِيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُ كلَّ نَجْمٍ ... مُكابَدَةً لِهَمِّى واحْتِمـــامَا (٥)
لِمَرِّ سنينَ قد لَبِسَتْ شبابِى ... وأبلَتْ بعــد جِدَّتها العِظامَا
مَشَيْتُ عَلَى العَصا وحَنَوْنَ ظَهرى ... وودَّعتُ المَوارِكَ والزِّمامَا (٦)
وكيف لا أَشُدُّ حِبالَ رَحْلٍ ... أَرومُ إلى زِيارتكَ المَرَامَا

* * *

أَمـــيرُ المُؤْمنين قَضَى بِعَدْلٍ ... أَحَلَّ الحلَّ واجْتَنَبَ الحرَامَا

---

(١) خارت : ضعفت . شعب : تفرق . صدع : شق .
(٢) القوادم : الريشات العشر فى أول الجناح وبعدها الخوافى .
(٣) القراحى : صاحب القرية الملازم لها لا يشهد حرباً .
(٤) أباهل : أباهلة وحذف التاء على الترخيم وباهلة قوم قتيبة بن مسلم الباهلى .
(٥) المكابدة : تحمل المشاق . والاحتمام : الاهتمام ، من الحمى لأن صاحبها لا ينام .
(٦) مورك الرحل : الموضع الذى يجعل عليه الراكب رجله ، والموركة ككنسة قادمة الرحل وللمصدغة يتخذها الراكب تحت وركه ، وورك الرحل جعله حيال وركه . الزمام : المقود .

أَتَمَّ اللهُ نِعمتَــه عليكمْ وزادَ الله مُلككُمُ تمامَا
وبارِكَ فى مَسِيركُمُ مَسِيرًا وبارِكَ فى مُقامكمُ مُقــامَا
بحقِّ المستجيرِ يخافُ رَوْعاً إذا أمسى بحبْلكَ أن ينامَا(١)
فَيَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ أعْطِ شكْرًا وعافيــةً وأبقِ لنــا هِشَامَا
وثِقْنا بالنجــاحِ إذا بَلَغنا إمامَ العَدلِ والمَلِكَ الهُمَامَا
عطاءُ اللهِ مَلَّكك النصارَى وَمَنْ صــلَّى لقِبلتِهِ وصامَا
تُــعافِى السَّامعينَ إذا أطاعُوا ولكِنَّ العُصاةَ لقُوا غرامَا(٢)
وكان أبوك قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ يُفَرِّجُ عنهمُ الكُرَبَ العِظاما
وقدْ وجَدوكَ أكرمَهمْ جُدودًا إذا نُسِبوا وأثبَتهُمْ مَقــامَا
إلى المَهْدِىِّ نَفزَعُ إن فَزِعنا ونستسْقِى بغُرَّتِهِ الغَمــامَا
وحَبلُ اللهِ تَعْصِمُكمْ قُوَاهُ فلا تَخْشَى لعُرْوَتِهِ انْفِصَامَا(٣)
ويحْسَرُ مَن تَرَكتَ فلمْ تُكلِّمْ ويُغْبَطُ مَن تُراجِعُهُ الكلاما
رَضينا بِالخليفــةِ حينَ كنَّا لهُ تَبَعاً وكان لنا إمامَا
تَباشَرَتِ الْبلادُ لكمُ بحُكْمٍ أقَامَ لَنــا الفرائضَ واسْتقَامَا
وَرِيشِى مِنْكمُ وهَوايَ فيكمْ وَإن كانتْ زيارتكُمْ لِمامَا(٤)
وُقِيتَ الْحَتْفَ مِن عَرضِ الْمَنايا وَلُقِّيتَ التحيَّةَ والسَّلاما(٥)

---

(١) الروع : الفزع .
(٢) الغرام : الخسران والبوار .
(٣) تعصمكم : تحفظكم . وانفصاماً : انكساراً .
(٤) جعل الله الباس ريشا : أى زينة وجمالا ، وقد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ، مستعار من الريش الذى هو كسوة وزينة للطائر . ومن المجاز رشت فلاناً : قويت جناحه بالإحسان إليه . زيارتكم لماما : فى بعض الأحايين .
(٥) الحتف : الموت .

٢ ـ الشاعر الغنائى

(١) نسيبه وغزله :

العُيونُ القاتلة

ومن طريف غزله الذى استرسل فيه مع نفسه ووجده وذكرياته ، فى شعر طويل عذب ، وهيام عنيف ، كاد ينسيه غرضه الأول (هجاء الأخطل) الذى من أجله ساق هذا الشعر الغزلى الرقيق :

بانَ الخليطُ وَلوْ طووِعْتَ ما بانَا ... وَقطَّعُوا منْ حِبالِ الوصلِ أقرَانا[1]

حَيِّ المنازِلَ إذْ لا نبْتَغى بَدَلًا ... بالدَّارِ دارًا وبالجيرَانِ جيرَانا

قدْ كنتُ فى أثرِ الأظعانِ ذَا طربٍ ... مُرَوَّعاً منْ حِذارِ البَينِ مِحْزانا[2]

يا رُبَّ مُكتئِبٍ لو قد نُعيتُ لهُ ... بالكِ وآخرُ مسرورٌ بمَنْعانا

لو تَعلمينَ الذى نَلقَى أوَيتِ لنا ... أوْ تَسْمعينَ إلى ذِى العَرْشِ شكوَانا

كَصَاحِبِ الموْجِ إذْ مالتْ سفينَتُه ... يَدْعو إلى اللهِ إسرارًا وإعْلانا

يا أيُّها الرَّاكبُ المزجِى مَطِيَّتَهُ ... بَلِّغْ تحيَّتنا لُقِّيتَ حُملانا[3]

بلِّغْ رسائلَ عَنَّا خَفَّ محْمَلُها ... عَلَى قلائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ حِيرانا[4]

كَيما نقولُ إذا بلَّغتَ حاجتنا ... أنتَ الأمينُ إذا مُسْتأْمنٌ خانا

ياليتَ ذا القلب لاقى مَنْ يُعلِّمُهُ ... أو ساقياً فسقَاهُ اليومَ سُلوانا

أوْ لَيتَها لمْ تُعلِّقنا علاقتَها ... ولم يَكنْ داخلُ الحُبِّ الذى كانا

---

(١) بان : فارق : الخليط : الشريك أو الزوج .

(٢) الأظعان : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج . والمحزان : كثير الحزن .

(٣) أزجى مطيته : ساقها . لقيت حملانا : رزقك الله ما يحملك .

(٤) القلائص : جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم الشابة القوية على السير . والحيران : جمع حوار وهو ولد الناقة ساعة تضعه يريد أنهن لم ينتجن .

هلاَّ تحرَّجْتِ مما تفْعلينَ بنـــا ... يا أَطيبَ النَّاسِ يوم الدَّجْنِ أَردانا[١]

قالتْ أَلِمّ بنَا إن كُنتَ مُنطَلقًا ... ولا إخالُكَ بعدَ اليومِ تلقانا

يا طَيْبَ هَلْ منْ متاعٍ تُمْتِعِينَ بهِ ... ضَيفاًلكمْ باكِرًا يا طيْبَ عَجلانا[٢]

ما كنتُ أَوَّلَ مشتاقٍ أَخِي طرَبٍ ... هاجَتْ لهُ غَدواتُ البَينِ أَحْزانا[٣]

يا أُمَّ عمْرٍو جزاكِ اللهُ مغْفرةً ... رُدِّى علىّ فؤادِى كالذى كانا

أَلستِ أَحسنَ مَنْ يمشى عَلَى قدمٍ ... يا أَملحَ النَّاسِ كلّ الناسِ إنسانا

لَقدْ كتَمْتُ الهوَى حتى تَهَيَّمَنِى ... لا أَستطيعُ لهذا الحُبِّ كِتمانا

كادَ الهوَى يومَ سُلْمَانين يَقتُلنى ... وكاد يقتلُنى يوْماً ببَيْدَانا[٤]

وكادَ يومَ لِوَا حَوّاءَ يقتلُنى ... لو كنتُمن زَفرَاتِ البَيْنِ قُرْحانا[٥]

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كان يحسِبُكم ... إلاَّ عَلَى العَهدِ حَتى كان ما كانا

مِنْ حُبِّكمْ فاعْلمي لِلْحُبِّ منزلةً ... نَهْوَى أميرَكمُ لوْ كان يَهوانا[٦]

لا بارَكَ اللهُ فى الدُّنيا إذا انْقَطَعَتْ ... أَسبابُ دُنْياكِمن أَسْبابِ دُنيانا[٧]

أَبُدِّلَ اللَّيْلُ لا تَسْرى كواكبُهُ ... أَمْ طالَ حتَّى حسِبْتُ النَّجْمَ حيرَانا

إنَّ العُيونَ التى فى طَرْفِها مرضٌ ... قَتَلننا ثم لم يُحْيينَ قَتلانا

---

(١) الدجن : الغيم والمطر . ويشير بطيب أردانها يوم المطر إلى أنها لا تخرج من بيتها . والأردان : جمع ردن وهو طرف الثوب .

(٢) يا طيب : أى يا طيبة وحذف التاء على الترخيم . وعجلان : عجول وهى صفة لضيف .

(٣) الطرب : هنا بمعنى الحزن وهو من الأضداد .

(٤) سلمانين : موضع . بيدان : ماء لبنى جعفر .

(٥) القرحان : يقال أنت قرحان من الأمر وقراحى خارج ، ويطلق كذلك على الخلى ومن لم يشهد الحرب ومن مسه القروح . اللوا : منقطع الرمل . وحواء : ماء من نواحى اليمامة .

(٦) الأمير : القيم .

(٧) أسباب : حبال ، والمراد بها أواصر الصلة بين المحبين .

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لاحَرَاكَ به ... وهُنَّ أَضعفُ خَلقِ اللهِ إنسانا(١)

يا رُبَّ غابطنا لوْ كان يطلُبكمُ ... لَاقى مُباعَدَةً منكمْ وحِرْمانا

طارَ الفؤادُ مع الخَوْدِ التى طرقَتْ ... فى النومِ طيِّبةَ الأَعطافِ مِبْدانا(٢)

مثلوجَةَ الرِّيقِ بعدَ النوْمِ واضعةً ... عن ذى مَثَانٍ تمُجُّ المسكَ وَالبانا(٣)

تَسْتافُ بالعَنْبر الهندىِّ قاطعةً ... هَمَّ الضَّجيع فلا دُنْيا كدُنيانا(٤)

بِتْنا نَرَانا كأَنا مالكونَ لنا ... يا لَيْتَها صدَّقَتْ بالحقِّ رؤيانا

قالَتْ تَعزَّ فإنَّ القومَ قد جَعلوا ... دُونَ الزِّيارةِ أَبْواباً وخُزَّانا

لمّا تبيَّنْتُ أَنْ قد حِيلَ دُونَهمُ ... ظَلَّتْ عساكِرُ مثلُ الموْتِ تَغشانا(٥)

يا حَبَّذَا جَبلُ الرَّيَّان من جَبلٍ ... وَحَبَّذَا ساكِنُ الرَّيانِ مَنْ كانا

وحَبِّذَا نَفَحَاتٌ من يمَانِيَةٍ ... تأْتيكَ منْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحيانا(٦)

هبَّتْ شَمالاً فَذِكْرَى ما ذَكَرْتُكمُ ... عِنْدَ الصَّفَاةِ التى شَرْقِىَّ حَوْرَانا(٧)

هلْ يَرْجِعَنَّ ولَيسَ الدَّهْرُ مُرْتجعاً ... عيشٌ بهـا طالما احْلَوْلَى وَما لَانا

أَزْمانَ يَدْعُونَنى الشيطانَ منْ غزَلِى ... وكُنَّ يَهْوَيْنَنِى إذْ كنْتُ شَيطانا

---

(١) روى : أركاناً وهى الجوانب .

(٢) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطرق : الإتيان بالليل . المبدان : طيبة البدن .

(٣) المثانى : القرون المثنية بعضها على بعض وهى ذوائب الشعر .

(٤) استاف : اشمّ .

(٥) العساكر : الظلمة والشدة .

(٦) نفحات : هبات الريح ووقعاتها . والريان : جبل فى ديار طيء غزير الماء . واليمانية : رياح الجنوب . وقيل الريان : جهته .

(٧) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحوران : دمشق على التوسع وهى إقليم على الجانب الآخر من نهر الأردن . وجبل حوران يسمى اليوم جبل الدروز نسبه إلى سكانه الحاليين وهو أعلى جبل فى إقليم شرق الأردن إذ يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم .

بان الشباب

قال يتحسر على ما مضى من أيام الهوى والشباب :

ما لِلْمَنَازِلِ لا يُجِبْنَ حَزِينا ... أَصَمِمْنَ أَمْ قَدُمَ المَدَى فَبَلِينا[١]

قَفْرًا تَقَادَمَ عهدُهُنَّ على البِلَى ... فَلَبِثْنَ فى عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينا

وَتَرَى العَواذلَ يبتَدِرْنَ مَلامَتِى ... وَإِذا أَرَدْنَ سِوَى هوَاى عُصِينا[٢]

بَكَرَ العواذِلُ بالمَلامَةِ بَعْدَ ما ... قَطَعَ الخليطُ بساجِرٍ لِيَبِينا[٣]

أَمْسَيْنَ إِذْ بانَ الشَّبابُ صَوَادِفاً ... لَيْتَ اللَّيالِيَ قبلَ ذاكَ فَنِينا[٤]

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يزالُ مَعينا[٥]

غَيَّضْنَ من عَبَرَاتهِنَّ وَقُلْنَ لِى ... ماذا لَقيتَ منَ الهوى وَلَقِينا[٦]

وَلقدْ تَسَقَّطنِى الوُشَاةُ فَصَادفوا ... حَصِرًا بِسِرِّكِ يا أُمَيمُ ضَنينا[٧]

رحيل أم ناجية

من أبياته الرقيقة فى فراق الحبيب قوله من قصيدة يرد بها على الفرزدق :

يا أُمَّ ناجيةَ السلامُ عَليكمُ ... قَبلَ الرَّوَاحِ وَقبلَ لَوْمِ العُذلِ[٨]

---

(١) أصممن : هل أصيبت بالصمم .

(٢) العواذل : اللائمات . ويبتدرن : يسرعن .

(٣) الخليط : الشريك أو الزوج .

(٤) صوادف : معرضات .

(٥) الوشل : الدمع . معيناً : جارياً .

(٦) غيضن الدمع : حبسنه.

(٧) الحصر بالسر : البخيل به كالضنين .

(٨) وحين قدم جرير المدينة أقبل عليه الشعراء ومعهم أشعب ولم ينصرف معهم ، فقال له جرير : أراك قبيح الوجه ، لئيم الحسب ، ففيم قعودك وقد خرج الناس . قال : لم يدخل عليك أحد أنفع لك منى ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنى آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتى . قال جرير : فقل . فاندفع أشعب يتغنى « يا أم فاجية . . . فطرب جرير لغنائه وأحسن إليه. وروى يا أخت فاجية ، وقبل الرحيل أو قبل الفراق .

وَإذا غَدَوْت فَباكَرَتْكِ تَحيَّةٌ سَبَقَتْ غُدُوَّ الشَّاحِجاتِ الحُجَّلِ[١]
لَو كنتُ أَعْلَمُ أَن آخِرَ عهدِكم يومُ الرَّحِيلِ فَعلتُ ما لَمْ أَفعَلِ
أَو كنتُ أَرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ لَقَنَعْتُ أَوْ لَسَأَلْتُ ما لَمْ يُسْأَلِ[٢]

(ب) الرثاء :

الجَوْسَاءُ[٣]

ومن جيد شعره مرثيته امرأته أم حزرة خالدة بنت سعد ، وبجودتها فاح بها النائحون على هوالك الفرزدق ، وسارت أبياتها بين البلاد ، فمنها جرير الجوساء ، وفيها تبدو عذوبة نفسه ، وشجو أنينه ، وتأثره بآى الذكر الحكيم !

لَوْلا الحَياءُ لعَادَنى استعبارُ وَلَزُرْتُ قَبرَكِ وَالحَبيبُ يُزَارُ[٤]
ولقدْ نَظرْتُ وَما تمتُّعُ نَظْرَةٍ فى اللَّحْدِ حيث تمكَّنَ المِحْفارُ
فجزَاكِ وَبْلٌ فى عَشيرِكِ نظرَةً وَسَقى صدَاكِ مُجَلْجِلٌ مِدْرَارُ[٥]
وَلَّهْتِ قَلْبى إذ عَلَتْنى كَبْرَةٌ وَذَوُو التَّمائم من بَنِيكِ صِغارُ[٦]
أَرْعَى النُّجومَ وَقد مَضَتْ غَوْرِيَّةً عُصَبُ النجوم كأَنهنَّ صُوَارُ[٧]

---

(١) روى : سبقت سروح . والشاحجات : الغربان تشح فى صياحها .
(٢) روى : أحذر فجع بين . وشك البين : قرب الفراق .
(٣) وفى رواية « الحوساء » ولعل الروايتين صحيحتان ؛ فالجوس والحوس : التردد والطواف ، وقد قرئ قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » بالجيم والحاء ، وقالوا جاسوا وحاسوا بمعنى واحد يذهبون ويجيئون.
(٤) وروى : لهاجنى . والاستعبار : جريان الدمع من العين .
(٥) الصدى : العطش أو جنان الميت وعظامه . ومجلجل مدرار : سحابة ذات رعد ومطر كثير .
(٦) الوله : ذهاب العقل واختلاطه. والتمائم : العوذ والرقى. وذوو التمائم : كناية عن الأطفال المعلقة التمائم فى أعناقهم .
(٧) الغورية : النجوم التى تأخذ نحو الغرب للغروب والسقوط . والعصب : الجماعات . والصوار : قطيع البقر الوحشى .

عَمِرَتْ مُكرَّمَةَ المَسَاكِ وفَارَقَتْ ... ما مَسَّها صَلَفٌ ولا إقتـــارُ[١]

فسقى صَدَى جدَثٍ بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ ... هَزِمٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِـــدْرَارُ[٢]

هَزِمٌ أَجَشُّ إذا اسْتَحَارَ بِبَلْدَةٍ ... فَكأَنَّما بِجوائِها الأَنْهـــارُ[٣]

مُتَراكِبٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ ... كالْبُلْقِ تحتَ بُطُونِها الأَمهارُ[٤]

كانَتْ مُكَرَّمَةَ العَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ ... يَخشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ[٥]

وَلقدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ... وَمَعَ الجَمالِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ

وَالرِّيحُ طَيِّبَةٌ إذا اسْتَقْبَلْتِها ... والعِرْضُ لادَنِسٌ ولا خَوّارُ[٦]

وَإذا سَرَيْتُ رأَيْتُ نَارَكِ نَوَّرَتْ ... وَجْهاً أَغَرَّ يزينهُ الإسفَارُ[٧]

كانتْ إذا هَجَرَ الخَلِيلُ فِراشَها ... خُزِنَ الحَدِيثُ وَعَفَّتِ الأَسرارُ[٨]

صَلَّى المَلائِكَةُ الَّذِينَ تُخيِّرُوا ... والطَّيِّبُونَ عَلَيكِ وَالأَبْرارُ

وَعَلَيكِ مِنْ صَلواتِ رَبِّكِ كلَّمَا ... سَبَحَ الحَجِيجُ مُلَبِّدِينَ وَغَارُوا[٩]

---

(١) مكرمة المساك : عزيزة العشرة الزوجية . وروى ما شفها صلف والصلف : مجافاة الظرف أو بغض الرجل لزوجه .

(٢) الجدث : القبر . الضاحك : نقب بالجبل . هزم أجش : صوت الرعد فيه بحة لشدته . وديمة مدرار : سحابة ، ممطرة .

(٣) الجواء : ما اتسع من الأودية .

(٤) روى متراكم . والزجل : صوت الرعد . والوميض : اللمعان . والفرس الأبلق ما خالطه سواد وبياض . والأمهار : صغار الفرس .

(٥) العشير : الزوج . والغوائل : الدواهي .

(٦) طيبة الشيم : نقية العرض .

(٧) السرى : السير بالليل . والوجه الأغر : المشرق الأبيض الجميل . وأسفر وجهه حسناً : أشرق .

(٨) الخليل : الزوج ، وفي رواية الخليل وفي أخرى الحبيب . وهجر الخليل فراشها بسبب غيابه عنها . وخزن الحديث : لا تحدث أحداً بريبة – أو إن هجرها الخليل مغاضباً لا تبوح بالأسرار ، فليس عندها إلا العفاف .

(٩) شبح الحجيج : رفعوا أكفهم بالتلبية والدعاء .

يا نظْرَةً لكِ يَوْمَ هاجتْ عَبرَةً ... مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيْرةِ دَارُ
وَكأَنَّ منزلَةً لَهَا بجُلَاجِلٍ ... وَحْيُ الزَّبُورِ تَخُطُّهُ الأَحْبارُ(١)
لا تُكْثِرَنَّ إذا جَعَلْتَ تلُومُنِى ... لا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الإِكْثارُ
كانَ الخَلِيطُ هُمُ الخَلِيطَ فأَصْبحوا ... مُتَبَدِّلينَ وبالدِّيارِ ديارُ
لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أن يتفَرَّقُوا ... ليلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ ونَهارُ(٢)

كيف العزاءُ . . . . ؟

ومن المراثى التى كان يرددها بشار بن برد ، ما بكى به جرير ابنه سوادة ، حين مات بالشام وكان به معجباً :

قَالُوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ !فقُلْتُ لهم ... كَيْفَ العَزَاءُ وَقَدْفَارَقْتُ أَشْبالِى(٣)
فَارقْتَنِى حينَ كفَّ الدَّهرُ مِنْ بَصَرِى ... وحينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالى(٤)
أَمْسَى سوادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوْقَ المَرْبَإِ العَالِى(٥)
قد كُنْتُ أَعْرِفُه مِنِّى إذا غَلِقَتْ ... رُهْنُ الجِيَادِ وَمَدَّ الغَايَةَ الغَالِى(٦)

---

(١) روى : تجده الأحبار . وجلاجل : موضع . والأحبار : جمع حبر : رئيس الكهنة عند اليهود وعند النصارى كل رئيس فى رؤساء الدين والحبر الأعظم : خلف السيد المسيح .

(٢) روى : لا يلبث الأحباب .

(٣) نصيبك : منصوب بفعل محذوف تقديره أحرز . العزاء : الصبر عند فقد العزيز . الأشبال جمع شبل : وهوولد الأسد إذا أدرك الصيد واستمر مريره .

(٤) يروى : فارقتى . كف الدهر من بصرى : ذهب ببعضه فغض منه وأضعفه ، ولم يرد العمى . الرمة : ما يبقى من الإنسان بعد موته . والمعنى : يتحسر على فراق ولده فى شيخوخته وضعفه .

(٥) يجلو مقلتى لحم : أراد : يجلى بمقلتى لحم من جبل البازى ببصره إذا آنس الصيد فرفع طرفه ورأسه . والمقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض . والبازى : من جوارح الطير كالنسر والصقر . ويصرصر : يصوت . لحم : يشتهى اللحم . المربأ العالى : منارة عالية يشرف منها البازى على صيده .

(٦) يريد : أعرفه من نفسى ، فهو يشبهنى فى شدتى وصرامتى ودهائى . وغلق الرهن : بقى فى يد المرتهن لا يفك . والرهن جمع رهان والرهان جمع رهن : وهوما وضع عند الإنسان لينوب مناب ما أخذ منه ، ومنه رهان الخيل وهو ما يدفعه المتراهنون على السباق . والغاية للشىء : مداه ومنتهاه . والغالى : الذى يأخذ قوسه وسهمه ، فيغالى فى قذف السهم .

إنَّ الثَّوِىَّ بِذِى الزَّيْتُونِ ، فَاحْتَسِبِى ... قَدْ أَسْرَعَ اليومَ فى عَقْلِى وفى حَالِى (١)

إلاَّ تَكُنْ لك بالدَّيْرَيْنِ مُعْوِلَةٌ ... فَرُبَّ باكِيَةٍ بِالرَّمْلِ مِعْوَالِ (٢)

كَأُمِّ بَوٍّ عَجُولٍ عِنْدَ مَعْهَدِهِ ... حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وَأَوْصَالِ (٣)

حَتَّى إذَا عَرَفَتْ أَنْ لاَ حَيَاةَ بِهِ ... رَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الجَوْفِ مِثْكَالِ (٤)

زَادَتْ عَلَى وَجْدِهَا وَجْدًا ، وإنْ رَجَعَتْ ... فى الصَّدْرِ مِنْهَا خُطُوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ (٥)

انهمال الدمع

قال يرثى قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وهى من مختارات أبى تمام فى حماسته :

وبَاكِيَةٍ مِنْ نَأْىِ قَيْسٍ وقَدْ نَأَتْ ... بِقَيْسٍ نَوًى بَيْنٍ طَوِيلٍ بِعَادُهَا (٦)

---

(١) الثوى : المقيم فى قبره . وذو الزيتون : الشام . احتسب ولده : صبر على المصيبة طلباً للأجر . يقول لنفسه اصبرى قد أسرع فى البلاء وأثر فى عقلى وحالى .

(٢) الديرين : بدمشق ؛ دير صليبا وبجانبه دير النساء . بالرمل : بديار تميم . معوال : شديدة العويل والبكاء ، يقصد أمه ونساءها .

(٣) البَوُّ : ولد الناقة ، أو جلد حوارها يحشى تبناً لتعطف عليه إذا مات ولدها فتدر . والعجول من النساء والإبل : الوالدة التى فقدت ولدها ، فهى تعجل فى جيئتها وذهابها جزعاً عليه . المعهد : الموضع الذى كانت تعهده فيه . الجلد : الجلد الذى يكسو عظامه . الأوصال : الأعضاء ، ويجتمع العظام كلها .

(٤) ردت : رددت ورجعت . والهماهم : جمع همهمة ، وهى الصوت المردد فى الصدور من الهم والحزن . وحرى الجوف : احترق كبدها من حرارة الحزن . امرأة ثكلى ، وثكول ، وثاكل : فقدت ولدها . والمثكال : الفاقدة التى أحرقها الفقد .

(٥) زادت على وجدها وجداً : ازداد جزع أمه واشتد . والوجد : الحزن الشديد على من تحب . البلبال : البرجاء فى الصدر ، وشدة الكرب والهم والوساوس .

(٦) النأى : البعد . والمعنى : ورب امرأة تبكى على فراق قيس ، وقد طرحته النوى بمكان لا يرجى له منه الإياب .

أَظُنُّ انْهِمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ عَنِ العَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا(١)
وَحُقَّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى وَأَنْ تُعْتَمَرَ الْوَجْنَاءُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا(٢)

الشَّمس الباكية

قال يرثي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، خير من أناب إلى الله ، ورعى حقوقه ، وأقام حدوده ، وأدى الأمانة العظمى صابراً ، فحزنت الدنيا لوفاته ، وبكت الشمس لفقده :

تَنْعَى النُّعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ من حَجَّ بَيْتَ اللهِ واعْتمرَا
حُمِّلْتَ أَمْرًا عَظِيماً فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ يَا عُمَرَا(٣)
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيلِ والقمرَا(٤)

أَشْجى تميماً موتُ الفرزدق

لمامات الفرزدق رثاه جرير ورفعه إلى منزلة ، لو رفعه إليها حيا لكان أسعد الناس حيث جعله سيد قومه وعشيرته ، وعماد تميم كلها ولسانها الناطق ، وأنه واصل الأرحام وكافل الأيتام ومطلق الأسرى ومتحمل الديات ، وأنه الذى كانت تفتح أمامه حصون الجابرة وأبواب الملوك :

لعَمْرِى لَقد أَشجَى تميماً وَهدَّها عَلَى نَكباتِ الدهرِ مَوْتُ الفَرَزْدَقِ(٥)
عَشِيَّةَ راحُوا لِلْفِراقِ بِنَعشِهِ إلى جَدَثٍ فى هُوَّةِ الأَرْضِ مُعمَقِ(٦)

---

(١) منته : منقطع . والمعنى : أظن وأنا صادق الظن أنه لا ينقطع الدمع من العين إلا بعد ذهاب سوادها على إنسانها .

(٢) العقر : الجرح . والوجناء : الناقة الشديدة أو العظيمة الوجنتين . يريد أنه لا خير بعده فى الحياة ، وحق لقيس أن يطمع العدو فى حماه لذهاب حاميه ، وأن تعقر الوجناء ، لقلة الزاد ، إذ لا خير فى شىء ، ولا صاحب له .

(٣) عمرا : نصب على الندبة ، أراد : يا عمراه .

(٤) المعنى : أنها طالعة تبكى عليك ، ولم تكسف نور النجوم ولا نور القمر ، لأنها خاشعة حزينة باكية ضعيفة الضوء . ويجوز أن يكون نجوم الليل والقمر أراد بها الظرف : يقول : تبكى الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر ، كقولك : تبكى عليك الشهر والدهر .

(٥) لعمرى : قسم بالحياة واليمين .

(٦) الجدث : القبر . معمق : عميق .

لَقَدْ غادرُوا فِى اللَّحْدِ مَنْ كانَ يَنْتَمِى ... إلى كلِّ نَجْمٍ فِى السَّماءِ مُحَلَّقِ (١)

ثَوَى حَاملُ الأَثْقالِ عَن كلِّ مُغْرَمٍ ... وَدامِغُ شَيطانِ الغَشُومِ السَّمَلَّقِ (٢)

عِمَادُ تَمِيمٍ كلها وَلِسَانُهَا ... وناطِقُها البذَّاخُ فى كل مَنْطِقِ (٣)

فَمَنْ لِذَوِى الأَرحام بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ ... لِجَارٍ وَعانٍ فى السَّلاسِلِ مُوثَقِ (٤)

ومَنْ لِيَتِيمٍ بَعدَ موتِ ابْنِ غالبٍ ... وأُمِّ عِيالٍ ساغِبينَ وَدَرْدَقِ (٥)

ومَن يطلقُ الأَسرَى ومَن يحقنُ الدِّما ... نَداهُ وَيشْفِى صَدْرَ حرَّانَ مُحْنَقِ (٦)

وكم من دمٍ غالٍ تَحَمَّلَ ثِقلَهُ ... وكانَ حَمُولاً فى وفاءٍ ومَصْدَقِ (٧)

وكم حِصْنِ جبَّارٍ هُمَامٍ وسُوقةٍ ... إذا ما أَتى أَبوابهُ لم تُغْلَقِ (٨)

تفتَّحُ أَبوابُ الملوكِ لِوجْهِهِ ... بغَيْرِ حِجاب دونه أَوْ تَمَلُّقِ (٩)

لِتَبْكِ عليهِ الإِنْسُ والجنُّ إذ ثَوَى ... فَتَى مُضَرٍ فى كلِّ غَرْبٍ ومَشرقِ

فَتًى عاشَ يَبْنِى المَجْدَ تِسعِينَ حِجةً ... وَكانَ إلى الخَيْراتِ والمجدِ يَرْتَقِى (١٠)

فما ماتَ حَتَّى لم يُخَلِّفْ وَراءَهُ ... بِحيَّةِ وادٍ صَولةً غيرَ مُصْعَقِ

---

(١) تركوا فى تلك الحفرة نجماً عالياً : يريد الفقيد .

(٢) ثوى : أقام . حامل الأثقال . متحمل المغارم والديات .

(٣) البذاخ : الهدار الذى تخرج شقشقته .

(٤) العانى : الأسير ، والموثق : المقيد .

(٥) ساغب : جوعان : دردق : أطفال .

(٦) محنق : مغيظ .

(٧) وفاء مصدق : وفياً صادقاً .

(٨) فتحت أمامه حصون الجبابرة والسوقة على السواء .

(٩) وفتحت له أبواب الملوك دون ملق منه لهم لمنزلته ومكانته فى نفوسهم .

(١٠) تسعين حجة : تسعين سنة : يرتقى : يصعد ويعلو .

(ح) الفخر والحماسة :

صفَّدْنا الملوك . . .

يفخر بأنهم فرسان نزال ، وشجعان قتال ، ضرابون بالسيوف ، خواضون للمعارك ، قراهم حميد ، وجانبهم منيع ، وجارهم عزيز ، يأسرون الملوك ، ويقودون الجيوش ، ويحمون الثغور ، لهم أشهر الأيام ، ومنهم أظهر الفرسان :

يرَى المتعبِّدون عَلَيَّ دُونى ... حِياضَ الموْتِ واللُّجَجَ الغِمارَا[1]

أَلَسْنا نحنُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... غَداةَ الرَّوْعِ أَجْدَرَ أَن نَغارَا[2]

وَأَضْرَبَ بالسُّيُوفِ إذَا تَلاَقَتْ ... هَوادِى الخيلِ صادِيَةً حِرارَا[3]

وأَطعنَ حينَ تختلفُ العوالى ... بِمأْزُولٍ إذا ما النَّقْعُ ثارا[4]

وأَحمدَ فى القِرَى وأَعزَّ نصْرًا ... وأَمنَعَ جانباً وأَعَزَّ جارَا

غَضِبنا يومَ طخفَةَ قد عَلِمتُمْ ... فَصَفَّدْنا الملوكَ بِها اعتسارَا[5]

فَوارِسُنا عُتَيْبَةُ وَابْنُ سَعدٍ ... وقُوَّادُ المقانِبِ حَيْثُ سارَا[6]

---

(١) المتعبدون : المتغيظون ، وروى : المتعيدون : أى المعتدون الطاغون .

(٢) الروع : الفزع أو الحرب .

(٣) هوادى الخيل : أعناقها . والصادية الحرار : العطاش .

(٤) روى : وأصبر . والعوالى : جمع عالية والعالية أعلى الرمح . ومأزول : مكان ضيق . والنقع : الغبار .

(٥) روى : اقتسار . وصفدنا : أسرنا . وقصة يوم طخفة : أن الرفادة كانت لبنى يربوع ، وأرادها بنو مجاشع ، لصغر وارثها من عتاب بن رياح اليربوعى ، ووافقهم الملك المنذر بن ماء السماء ، فغضب بنو يربوع ، واعتصموا بشعب حصين بطخفة ، حتى هزموا بنى مجاشع وجيوش المنذر ، وأسروا أخاه حساناً وابنه قابوس وجذوا ناصيته ، فنزل الملك على رأيهم ، وصالحهم على أن تعود الرفادة إليهم .

(٦) عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، وابن سعد : هو جزء بن سعد الرياحى . والمقانب : الجيوش . والمراد بقواد المقانب : المنهال بن عصمة .

وَمِنَّـا المَعْقِـلانِ وعَبدُ قَيْسٍ وَفَارِسُنا الَّذِى مَنعَ الذِّمارَا[١]
ونحنُ المُوقدُونَ بِكلِّ ثَغْرٍ يُخافُ بِهِ العَدوُّ عليكَ نارَا

تفجيرُ قَتام الحربِ

قال يفخر بقسوة هجائه ، ويعتز بسطوة قومه ، ونباهة شأنهم ، وقوة جيوشهم ، وشجاعة فرسانهم ، وبأنهم يفجرون قتام غبار الحرب ، ويعلون عماد بناء المجد . وقد مهد لهذا الفخر ، بتحقير الفرزدق وباطل ما يفخر به :

إنى لَتُحْرِقُ من قَصَدْتُ لِشَتْمِهِ نارِى ويَلْحَقُ بالغُوَاةِ سُعارِى[٢]
تَبًّا لِفَخْرِكَ بِالضَّلالِ وَلَمْ يزَلْ ثوبَا أَبيكَ مُدنَّسَينِ بِعارِ[٣]
ماذا تقولُ وقد علوْتُ عليكُمُ وَالمسلمونَ بما أَقولُ قَوارِى[٤]
وإذا سأَلتَ قضى القُضَاةُ عليكمُ وَإذا افتخرتَ علا عليكَ فخارِى
فَأَنا النهارُ علا عليكَ بِضَوْئِهِ واللَّيلُ يَقبضُ بَسْطَةَ الأَبصار
إنَّا لَنَرْبَعُ بِالخميسِ تَرى لهُ رَهَجاً ونَضْرِبُ قَوْنَسَ الجَبَّارِ[٥]
أَنَّى لِقومكَ مثلَ عدْوَةِ خيلِنَا بِالشِّعْبِ يومَ مُجَزَّلِ الأَمْرَارِ[٦]
قَوْمِى الذين يَزِيدُ سَمعِى ذكرُهُمْ سَمْعاً وكانَ بضوئِهِمْ إبصارِى

---

(١) المعقلان : معقل بن عبد قيس الرياحى ، وأخوه بشر . والفارس الذى منع الذمار : عتاب بن رياح .
(٢) السعار : شدة الحر .
(٣) تبًّا : هلاكاً وخساراً .
(٤) قوار : يتبعون أفعال الناس ويشهدون بالحق .
(٥) ربع : أخذ ربع الغنيمة . والخميس : الجيش من خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق . والرهج : الغبار . وقونس الجبار : أعلى رأسه .
(٦) الشعب : جبل . قصة يوم مجزل الأمرار : نزلت بكر بن وائل بالأمرار ، فسار إليهم الحارث بن يزيد ، وكانت فيهم جارية من بنى شيبان فرأت من بعيد رجلا متنكباً قوساً ، فقالت : يا أبت ! إنى رأيت متن سيف أو صفحة قوس ، فأنذر قومه ، فقالوا : ما نبه ابنتك فى هذه الساعة إلا أنها عاشق ، فخجل وارتحل ، وأصبحوا نهبة لبنى سعد يقتلونهم ويسبون نساءهم .

والمُوردُونَ عَلَى الأَسِنَّةِ قُرَّحاً حُمرًا مساحِلُهُن غيرَ مِهارِ[١]
إنِّى لَتَعْرَفُ فى الثُّغُورِ فَوارِسِى وَيُفَجِّرُونَ قَتامَ كلِّ غُبارِ[٢]
تحن البناةُ دعائماً وسَوارياً يَعْلُونَ كلَّ دَعائِمٍ وصَوار

غَضبة تميم

يفخر جرير فى الدماغة التى هجا بها الراعى النميرى بقومه فيقول فى معرض الفخر :

فَلا وَأَبيكَ ما لاقيتُ حيًّا كَيَرْبُوعٍ إذا رَفعوا العُقَابَا[٣]
وَما وجدَ المُلوكُ أعزَّ مِنَّـا وأَسرَع من فوارِسنَا استِلابَا
لنا تحتَ المحامِلِ سابغَاتٌ كَنَسْجِ الرِّيح تطَّرِدُ الحَبَابا[٤]
إذا غضِبَتْ عليك بَنُو تميمٍ حَسِبتَ النَّاسَ كُلَّهمُ غِضَابا
أَلَسْنَا أَكْثرَ الثَّقَلَيْنِ رَجْلاً بِبطنِ مِنًى وأعظمهُ قِبَابَا[٥]
وَأَجدَرَ إن تَجاسر ثُمَّ نادى بِدَعْوى يَال خِنْدِفَ أَنْ يُجَابَا[٦]
لنا البَطْحَاءُ تُفْعِمُهَا السَّوَاقِى ولم يلكُ سَيْلُ أَوْدِيتى شِعاباً
فما أَنتم إذَا عدَلَتْ قُرُومى شقاشِقَهَا وهافَتَت اللُّعابَا[٧]

---

(١) القرّح : جمع قارح والفرس القارح الذى كملت أسنانه بعد خمس سنين . ومسحلا اللجام : حديدتان تكتنفان لحيي الفرس . حمراً مساحلهن : من الدم . والمهار : صغار الفرس .

(٢) القتام : الغبار الأسود . روى : ويفرجون قتام كل غبار .

(٣) العقاب ها هنا : الراية تحمل فى القتال ، والناس يقاتلون معها وحولها ما دامت قائمة ، فإذا سقطت انهزموا .

(٤) المحامل : حمائل السيوف . الحباب : ما تراه على الماء مثل الوشم تظهره الريح وتحركه . السابغات : الدروع الواسعة .

(٥) الثقلان : الإنس والجن . والرجل : جماعة المشاة وهم الرجالة الواحد راجل خلاف الراكب .

(٦) أجدر : أخلق . تجاسر : تطاول ثم رفع رأسه .

(٧) عدلت قرومى : مالت الفحول برءوسها ثم هدرت فى ناحية شقشقتها ، كالمتكبر الذى يميل رأسه تجبراً . هافتت اللعاب : أخرجت زبدها .

لنا حوضُ النَّبيِّ وَساقِياهُ ومن ورثَ النُّبُوَّةَ والكِتَابَا[١]
وَمِنَّا منْ يُجيزُ حَجيجَ جَمْعٍ وَإنْ خَاطَبْتَ عَزَّكُمُ خِطَابَا[٢]

(د) أماديحه :

خير من ركب المطايا

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أتصحو أَم فؤادك غيرُ صاحِ عشيّة همَّ صحبُك بالرواح[٣]
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قالت رأَيتُ الْوَارِدينَ ذَوِى امتِياحِ[٤]
تُعَلِّلُ وَهيَ ساغِبَةٌ بنيها بأَنفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحِ[٥]
سأُمتاحُ البحُورَ فَجَنِّبِينِي أَذاةَ اللَّومِ وانتظرى امتياحِى[٦]
ثِقِي باللهِ ليسَ لهُ شَرِيكٌ ومِنْ عِندِ الخليفة بالنَّجاحِ[٧]
أَغِثْنى - يا فداك أَبى وأُمِّى - بِسَيْبٍ منك إنَّكَ ذُو ارتياحِ[٨]

---

(١) كانت الإجازة فى الجاهلية لصفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن سعد بن عبد مناة ابن تميم .

(٢) يريد كرب بن صفوان كان يجيز الناس من عرفات إلى مزدلفة ، وأبو سيارة بن الأعزل يجيز من مزدلفة إلى منى وغيرهم .

(٣) تصحو : تستيقظ . الرواح : السفر مساء . وقد عاب عليه عبد الملك قبح المواجهة فى هذا المطلع وقال له : بل فؤادك أنت . وهذه إحدى سقطات جرير .

(٤) أم حزرة : زوج جرير .

(٥) تعلل : تلهى . ساغبة : جائعة . الشبم القراح : الماء البارد .

(٦) امتاح البحر . متح الماء : استقاه واستخرجه من البئر . والمراد به فى البيت العطاء الذى يناله من الخليفة المشبه بالبحر عطاء .

(٧) ثقى بوحدانية الله ثم بنجاح رحلتى . وهنا يتخلص الشاعر إلى المدح .

(٨) السيب العطاء ذو ارتياح : أى إلى المكارم تتحرك لها وتهش . (يا) زائدة . أو أنها حرف نداء للالتفات والمنادى محذوف .

فإنِّى قد رأيتُ علىَّ حقًّا زيارتَىَ الخليفةَ وامتِدَاحِى[١]

سأَشكُرُ إن رَدَدْتَ علىَّ رِيشى وَأَنبتَّ القوادمَ فى جَنَاحِى[٢]

ألستُم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالَمِين بُطون راحٍ[٣]

وقومٍ قد سموتَ لهم فدانُوا بِدُهْمٍ فى مُلَمْلَمَةٍ رَدَاحِ[٤]

أَبَحْتَ حِمَى تِهامةَ بعد نَجْدٍ وَما شىءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ[٥]

لكم شُمُّ الجبالِ من الرَّوَاسى وأعظمُ سيل مُعْتَلَجِ البِطـــاحِ[٦]

دَعوْتَ المُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جِمَاحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ[٧]

رَأَى النَّاسُ البصيرَةَ فَاستقامُوا وبَيَّنَتِ المِرَاضُ من الصِّحاحِ[٨]

---

(١) رأيت زيارتى للخليفة ومدحه وإشهار فضله فرض على .

(٢) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش . وضدها الخوافى : أى المختفية تحت الجناح .

(٣) المطايا : جمع مطية وهى ما يركب من الإبل والخيل . الراح : جمع راحة . بطن الكف . وقد قيل إن هذا أمدح بيت قالته العرب لأنه حوى معانى كثيرة فى لفظ قليل، فقد مدح قوم الخليفة بالغنى والترف والشجاعة والكرم والتدين فى استفهام تقريرى وأسلوب محكم ولفظ مختار .

(٤) سموت لهم : خرجت لهم محارباً . دانوا : أطاعوا وخضعوا . دهم : خيل سود . ودهم : جيش كثير . الململمة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة ضخمة .

(٥) الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه .

(٦) شم الجبال أعاليها . اعتلجت الأرض طال نبتها . واعتلجت الأمواج : التطمت وكثرت وركب بعضها بعضاً . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق .

(٧) الملحد: المائل عن الدين الطاعن فيه. أبو خُبَيْب : عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحاً : نافرين .

(٨) البصيرة هنا معناها العبرة والعظة المراض جمع مريض : الباطل والمعوج . وضده الصحيح . بينت : بمعنى تبينت .

المُسْتبد العادلُ

بدأ جرير قصيدته فى مدح الحجاج بالنسيب ، ثم وصفه بالمستبد العادل الذى قامت سياسته فى توطيد حكم الأمويين على القمع والتنكيل بالعابثين ؛ فقطع دابر الفساد والنفاق وحمى النساء والحرمات ومنع الرشا والشغاب ، وقضى على الفتن والشقاق ، وكان بطشه بالفتاك واللصوص ، وقطاع الطرق سبيل الهدى والسلام بين الناس ، فسعوا مطمئنين ، وحجوا بيت الله آمنين :

هاجَ الهوى لفُؤادِكَ المُهتَـاجِ ... فانظر بتوضح باكرُ الأَحْدَاجِ (١)

هذا هوًى شَغَفَ الفؤاد مُبَرِّحٌ ... ونَوًى تقاذفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ (٢)

إن الغُرابَ بِمَا كرهت لمُولعٌ ... بِنوَى الأحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ (٣)

ليت الغُراب غَداةَ يَنْعَبُ بالنَّوَى ... كان الغُرابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ (٤)

ولقد علمتُ بأَنَّ سِرَّكِ عِندنَا ... بين الجوانِحِ مُوثَقُ الأَشْرَاجِ (٥)

ولقد رَمَيْنَكَ حين رُحْنَ بِأَعْيُنٍ ... يَنظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِي (٦)

وَبِمَنْطِقٍ شَغَفَ الفُؤَاد كأَنَّهُ ... عَسَلٌ يَجُدْن بِهِ بغير مِزاجِ (٧)

... قُلْ لِلْجَبانِ إذا تأَخَّرَ سَرْجُهُ ... هل أَنت من شَرَكِ المَنِيَّةِ نَاجِي (٨)

فتعلَّقَنْ بِبَنَاتِ نَعْشٍ هارباً ... أَو بِالبُحُورِ وشِدَّةِ الأَمواجِ (٩)

---

(١) توضح : موضع ببلاد بنى يربوع . يريد هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك ، فارم بطرفك نحو توضح . والأحداج : مراكب النساء .

(٢) شغف الفؤاد : غشى الحب القلب وغطى شغافه . مبرح : معذب . والنوى : الفراق أو النية والمذهب . تقاذفها : بعدها . الخلاج الشك . والنوى الخلوج : المشكوك فيها .

(٣) تشحاج الغراب ونعيقه ونعيبه : صياحه .

(٤) الأوداج : العروق التى تقطع عند الذبح فتذهب الحياة .

(٥) شرج الحقيبة : عراها . الجوانح : الضلوع التى تلى الصدر . يريد أن السر بين الجوانح فى مكان أمين .

(٦) خلل السطور : ما بينها من فرج . السواجى : جمع ساجية : فاترة .

(٧) مزاج : مزاج الشراب ما يمزج به .

(٨) تأخر سرجه : عاقه الخوف عن شد حزام السرج : الشرك : ما ينصب للصيد .

(٩) بنات نعش : سبعة كواكب كبرى وصغرى ، وهى الدب الأكبر ، والدب الأصغر .

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليكمُ ؟ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحجَّاجِ ؟(١)

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاء حَفِيظَةً إِذْ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ(٢)

إن ابنَ يُوسُف فاعْلموا وتيقَّنوا ماضى البصيرةِ واضِحُ المِنْهاجِ

ماضٍ على الغمراتِ يُمضى هَمَّهُ والليلُ مُختلفُ الطَّرائقِ دَاجِى(٣)

منعَ الرُّشا وأراكُمُ سُبُلَ الْهُدى واللِّصَّ نَكَّلَهُ عن الإدلاجِ(٤)

فاستوسِقُوا وتَبَيَّنُوا سُبلَ الْهُدى ودعوا النَّجىَّ فليس حين تَنَاجِى(٥)

يا رُبَّ ناكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ وخِضابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ(٦)

إنَّ العَدُوَّ إذا رمَوْكَ رَمَيْتَهُمْ بِذُرَى عَمايةَ أَوْ بِهَضْبِ سُواجِ(٧)

وإذا رأيت مُنافقين تَخيَّرُوا سُبُلَ الضَّجَاجِ أقمت كُلَّ ضَجَاجِ(٨)

دَاوَيْتَهُمْ وسَقَيْتَهُمْ مِن فِتْنةٍ غَبْرَاءَ ذَاتِ دَواجِنٍ وأُجَاجِ(٩)

إنِّى لَمُرْتَقِبٌ لِمَا خَوَّفْتَنى وَلِفَضْلِ سَيْبِكَ يَا ابنَ يُوسفَ راجِى(١٠)

ولقد كسرتَ سِنَانَ كُلِّ مُنافِقٍ ولقد منَعْتَ حقائب الحُجَّاجِ(١١)

---

(١) المطلع : المصعد.

(٢) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٣) الغمرات : الشدائد . الداجى : المظلم .

(٤) نكله : صنع به صنيعاً يحذر غيره . الإدلاج : السير فى أول الليل .

(٥) استوسقوا : استقيموا . النجى : السر .

(٦) ناكث : ناقض العهد . البيعتان : بيعة الخليفة وبيعة الحجاج .

(٧) الذرى : الأعالى . عماية وسواج : جبلان بالعالية .

(٨) الضجاج : الباطل والمشاغبة .

(٩) الأجاج : شدة الحر النار والحرب .

(١٠) السيب : العطاء .

(١١) جعله فى مأمن من فتك النفاق ، وخيانة قطاع الطرق .

حامى الذِّمار

ومن مدحه ليزيد بن عبد الملك قوله :

ساسَ الخِلافَةَ حينَ قَامَ بحقها ... وحَمى الذِّمارَ فما يُضَاعُ ذِمارُ[١]

وَيزيدُ قد عَلمتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ ... غمرُ البحُورِ إلى العُلا سَوّارُ[٢]

وَعُرُوقُ نَبْعَتِكُمْ لها طِيبُ الثَّرَى ... والفرْعُ لا جعدٌ ولا خَوَّارُ[٣]

إنَّ الخليفةَ لِليتَامى عِصمةٌ ... وأبو العيال يَشُفُّهُ الإقتارُ[٤]

صلَّى القبائلُ من قريشٍ كلهمْ ... بالمَوْسِمَينِ عليكَ والانصارُ

تَرْضَى قُضاعَةُ ما قَضَيْتَ وَسَلَّمتْ ... لِرِضًى بِحُكْمِكَ حِمْيرٌ ونِزَارُ

قَيسٌ يرَوْنَكَ ما حَييتَ لهم حَيًا ... ولآلِ خِندِفَ مُلكُكَ استِبْشارُ[٥]

وَلقد جَرَيْتَ فما أَمامكَ سابقٌ ... وَعَلى الجوالِبِ كَبْوَةٌ وغبارُ[٦]

آلُ المُهلَّبِ فَرَّطُوا فِي دينِهِمْ ... وطَغَوْا كما فعلَت ثمودُ فبارُوا[٧]

قِوامُ الدين وَالبَشر

قال يمدح عمر بن عبد العزيز ويطلب عطاءه ، فجعله قوام الدين والدنيا، تولى الخلافة والناس فى أشد الحاجة إلى خليفة مثله . يرجون منه الخير وتخفيف البلوى . وإغاثة المكروب ، وتبديل عسرهم يسراً فهو الميمون المبارك ، يعصى الهوى . ويقطع الليل قارئاً . ليس له نظير بين الملوك ، لذا سيبقى يشكره ويذكره :

قدْ طالَ قوْلى إذا ما قُمْتُ مبْتَهِلاً ... يارَبِّ أَصْلحْ قِوامَ الدِّين والبشَر[٨]

---

(١) الذمار : كل ما تلزم حمايته .

(٢) سوار : وثاب .

(٣) الجعد : القصير . والخوار : الضعيف .

(٤) الواو هنا بمعنى حين . والإقتار : الفقر والضيق .

(٥) الحيا : المطر والخصب .

(٦) كبوة : سقطة . وجلب على فرسه صاح به من خلفه واستحثه للسبق .

(٧) باروا : هلكوا .

(٨) مبتهلا : داعياً .

إنَّا لنَرْجو إذا ما الغيثُ أخْلَفَنا ... من الخليفةِ ما نَرْجُو من المَطَرِ (١)

نالَ الخِلافة أوْ كانتْ لَهُ قَدَرًا ... كما أتى ربَّهُ مُوسى عَلَى قَدَرِ (٢)

أأذْكر الجَهدَ والبَلْوى إذا نزلَتْ ... أمْ قد كفانِى الذِى بُلِّغتَ من خَبرى (٣)

ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ تَعَرَّقُنى ... قدطال بعْدك إصْعادِى ومُنْحَدَرِى (٤)

لا ينفعُ الحاضِرُ المجهودُ بادِيَهُ ... ولا تجودُ لنا باد على حضَرِ (٥)

كم بالمواسِمِ مِنْ شَعثاءَ أرْمَلَةٍ ... ومن يَتِيمٍ ضَعيفِ الصَّوتِ والنَّظَرِ (٦)

يَدْعوكَ دعوةَ مَلْهُوفٍ كأنَّ بهِ ... خبْلاً مِنَ الجِنِّ أوْ مَسًّا مِنَ النَّشَرِ (٧)

مِمَّنْ يُعدُّكَ تكْفِى فقْدَ والِدِهِ ... كالفرْخِ فى العُشِّ لم ينهضْ ولمْ يَطِرِ (٨)

فَإن تَدَعْهُمْ فمَنْ يَرجُونَ بَعدكُمُ ... أوْ تُنْجِ منها فقد أنجَيْتَ مِن ضَررِ

كم قد دعوْتُك مِن دَعوَى مُخَلِّلةٍ ... لَمَّا رأيْتُ زمانَ النَّاسِ فى دُبُرِ (٩)

لِتَنْعَشَ اليوم رِيشِى ثم تُنْهِضَنِى ... وَتُنزِلَ اليُسْرَ مِنِّى موضِعَ العُسُرِ (١٠)

أنت المبارَكُ والميمونُ سيرتُه ... تعصى الهوى وتقوم الليْلَ بالسُّوَرِ (١١)

---

(١) أخلفنا السحاب : لم ينزل علينا مطراً .

(٢) قدراً : مقدورة .

(٣) الجهد : المشقة . والبلوى: المصيبة والفقر .

(٤) تعرقنى : المراد تفقره ولا تبقى له شيئاً .

(٥) البادى : ساكن البادية ، الحاضر ساكن الحضر .

(٦) المواسم : جمع موسم . مكان اجتماع الناس . وأراد الشاعر بها هنا مواسم الحج .

(٧) الخبل بسكون الباء الفساد . والنشر : جمع نشرة وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٨) نهض الطائر : بسط جناحه ليطير .

(٩) دعوى مخلة : دعوة المحتاج .

(١٠) تنعش ريشى : المراد تعطينى ما أنافى حاجة إليه .

(١١) الميمون : من اليمن وهو البركة والخير . الهوى : الميل . السور : المراد سور القرآن يتلوها ليلا للعبادة .

أصبحتُ لِلْمِنبَرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ ... زَيْناً وَزَيْنَ قِبابِ الْمُلْكِ والحُجرِ (١)

فما وجدْتُ لكمْ نِدًّا يعادِلُكم ... وماعلمْتُ لكم فى النَّاسِ مِن خَطَرِ (٢)

إنى سأشكُرُ ما أوْلَيْتَ مِن حَسَنٍ ... وخَيرُمَن نِلْتَ معرُوفاً ذَوُو الشُّكرِ (٣)

كريمُ العمِّ والخال

وقال يمدح هشام بن عبد الملك وهو آخر خليفة اتصل به ومدحه :

أميرُ المؤمنين على صراطٍ ... إذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُستقيمِ (٤)

أميرَ المؤمنين جَمَعتَ ديناً ... وحِلماً فاصِلا لذوِى الحُلوم (٥)

لَكَ المتخيَّرَانِ أباً وخالاً ... فَأَكْرِمْ بالخُئُولةِ والعمُوم

فَيا ابْنَ المُطْعِمِين إذا شتوْنا ... ويابن الزَّائِدِين عن الحريم (٦)

سَما بك خالِدٌ وأبو هِشام ... إلى العلْياء فى الحسَبِ الجسيمِ

وَتنْزِل مِن أميَّةَ حين تلْقَى ... شُئون الهامِ مُجْتَمَعَ الصَّميمِ (٧)

ترى للمسلمين عليك حقًّا ... كفعْلِ الوالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحيم (٨)

---

(١) المعمور : الآهل بالسكان . الزين : المظهر الحسن ، والزين أيضاً ضد الشين ، والحجر : القاعات .

(٢) الند : النظير والشبيه . والخطر : المماثل .

(٣) أى أحسن من ينالهم المعروف الشاكرون .

(٤) الصراط : المنهاج الواضح .

(٥) الحلوم : واحدها الحلم : وهو الأناة والعقل .

(٦) شتونا : أجدبنا . الحريم : ما تحميه وتقاتل عنه من ديار وأعراض وأموال ونحوها .

(٧) خالد : هوخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلماً وجوداً ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل .

(٨) رؤف : فعل مثل يقظ وحذر ، من الرأفة وهى أشد الرحمة ، وقد قرئ (إن الله رؤف بالعباد . ورءوف) .

إذا بعضُ السنينَ تعرَّقَتْنـــا ... كَفَى الأَيْتامَ فقدَ أَبِي اليتيمِ[١]

وأَنت إذا نظرتَ إلى هِشامٍ ... نظرت نِجارَ مُنْتجَبٍ كريمِ[٢]

ولىُّ الحقِّ حين تؤُمُّ حجًّا ... صفوفاً بين زمزمَ والحطيمِ[٣]

تواصَتْ مِنْ تكرُّمها قريشٌ ... بِرَدِّ الخيلِ داميةَ الكلُومِ

فما الأُمُّ التى ولدت أَباكمْ ... بِمُقْرَفَةِ النِّجارِ ولا عَقيمِ[٤]

وما قَرْمٌ بأَنْجبَ من أَبيكمْ ... وما خالٌ بأَكْرَمَ من تميمِ[٥]

سَما أَولادُ بَرَّةَ بنتِ مُرٍّ ... إلى العلياءِ فى الحسب العظيمِ

(٥) متفرقات :

عتاب ـ شكوى ـ اجتماعيات

باسط خير وقابض شر

قال لقومه يعاتبهم فى قصيدة خاطب فيها أباه وجده، ممتنًّا عليهم[٦] بنفسه . وقد استشهد النحاة ببعض أبياتها ، وشهد الفرزدق بجودتها[٧] ، وتمثل بها يزيد بن معاوية مع أبيه ، وقد مات معاوية وهو لا يدرى إلا أنها[٨] لابنه :

فإن لم أجد فى القرب والبعد حاجتى ... تَشَأَّمْتُ أَو حوَّلتُ وجهِى يَمانيا

---

(١) تعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم ، ومنه قولهم : ما تركت السنة لهم شيئاً من العظم إلا تعرقته ، والمراد أصابها جدب .

(٢) النجار : الطبع والمنبت .

(٣) حج : جمع حاج كما تقول راكب وركب وتاجر وتجر وشارب وشرب ، أو أن يكون المقصود أصحاب حج كقوله تعالى : « واسأل القرية » أى أهل القرية .

(٤) الأم التى ولدت قريشاً : برة بنت مرة كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى ، وتميم بن مرة خاله .

(٥) القرم : السيد العظيم .

(٦) ابن رشيق ١/٣٨ .

(٧) مهذب الأغانى ٥/٦٦ .

(٨) نفس المرجع .

فردّى جمالَ الحيِّ ثم تحمّلي ... فما لَكِ فيهمْ من مُقام ولا لِيَا

وإنّى لَمغرورٌ أُعلَّلُ بالمُنَى ... ليالِيَ أرجو أنَّ مالَكَ ماليا[1]

فأنتَ أبِى ما لم تكنْ لىَ حاجةٌ ... فإن عَرَضَت أيقنتُ أنْ لا أباليا[2]

وقائلة والدَّمعُ يَحدِرُ كُحْلَها ... أبَعْدَ جرير تُكرمون الموالِيا[3]

بأىِّ نِجادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بعدما ... قَطَعْتَ القُوَى من مِحمَل كان باقيا[4]

بأىِّ سِنانٍ تَطْعُنَ القومَ بعد ما ... نَزَعْتَ سِناناً من قَناتِك ماضيا

ألَا لا تخافا نَبْوتى فى مُلمَّـة ... وخافا المنايا أن تَفوتَكما بيا

ألم أكُ نارًا يَصْطَليها عدُوُّكُمْ ... وحِرْزًا لِمَا ألجأتُمُ من ورائيا[5]

وَباسطَ خيرٍ فيكمُ بيمينِهِ ... وقابِضَ شرٍّ عَنكمُ بِشِماليا

إذا سرَّكم أن تَمسحوا وجهَ سابقٍ ... جَوادٍ فمدُّوا وابْسُطوا من عنانيا[6]

وإنّى لَعفُّ الفقرِ مُشتَرَكُ الْغِنَى ... سريعٌ – إذا لم أرضَ دارى – انتقاليا[7]

جريءُ الجَنانِ لا أهابُ من الرَّدَى ... إذا ما جعلتُ السيفَ من عن شماليا[8]

وليس لسيفى فى العظام بقيَّةٌ ... ولا السيفُ أشوى رقعةً من لِسانيا[9]

---

(١) لقد غررت حين حسبت أنه لا فرق بين مالى ومالك .

(٢) فى رواية أخرى أخى . . . وأن لا أخاليا .

(٣) الموالى : بنو عمه .

(٤) النجاد : حمائل السيف .

(٥) يصطليها : يحترق بها . والحرز : المنجأ الحصين .

(٦) السابق : من الخيل الذى يسبق غيره . العنان : اللجام .

(٧) وصف نفسه بعفته فى عسره ، وإشراك غيره معه فى يسره ، وإباء الذل ، وهى مثل عليا لا تجتمع إلا لكل حر ، ولا يجمعها فى بيت واحد إلا عريق فى الشعر .

(٨) الجنان : بفتح الجيم القلب . لا أهاب من الردى : لا أخشى اغتياله .

(٩) يروى : لسانى وسيفى صارمان كلاهما ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة أنشدها جرير على فترات فى كل فترة بعض أبيات ثم جمعت غير مرتبة . وقد اعتمدنا فى ترتيب ما اخترناه على الأغانى والعمدة والديوان . ويقال رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله ، والشوى الأطراف .

هلاَّ غضِبْت لنا ؟

قال يعاتب بشر بن مروان أمير العراق ، حين سمح لسراقة البارق بالتعرض لجرير :

يا صاحِبَيَّ هل الصباحُ مُنيرُ ؟ أَمْ هَلْ لِلَومِ عواذلى تَفتيرُ[١]
يا بِشرُ إنكَ لم تزلْ فى نِعمَةٍ يَأْتيكَ من قِبَلِ الْعَلِىِّ بَشِيرُ
بِشرٌ أَبو مَرْوَانَ ، إن عاسَرْتَه عسِرٌ وعندَ يسارِه ميْسورُ[٢]
يا بِشرُ ، حُقَّ لِوَجهِكَ التبشيرُ هَلاَّ غَضِبْتَ لنا وأَنتَ أَمِيرُ[٣]
قد كانَ حقُّكَ أَنْ تقول لبارقٍ : يا آلَ بارِقَ ، فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ ؟
إنَّ الكَرِيمَةَ يَنصُرُ الكَرَمَ ابنُها ، وابنُ اللَّئيمَةِ لِلَّئامِ نَصُورُ[٤]

عتاب عَزَّة

قال يخاطب عزة فى عتاب رقيق :

هَنيئاً مَرِيئاً غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزَّةَ من أَعْراضِناما استَحَلَّتِ[٥]
أَسِيئِي بِنا أَو أَحْسِنِي لا مَلومَةٌ لَدينْا وَلا مَقلِيَّةً إن تَقَلَّتِ[٦]

أَين السُّكَّرُ والزَّبيب . . . ؟

تولى سليمان بن سعد صدقات الأعراب وأعطياتها باليمامة ، وضيق على جرير ، فقال يشكوه إلى عمر بن عبد العزيز[٧] :

لقد كانَ ظَنِّى يابنَ سَعد سَعادَةً وما الظنُّ إلا مُخطِئٌ وَمُصِيبُ

---

(١) تفتير من الفتور : وهو السكون بعد الحدة .
(٢) أبو مروان كنية بشر . اليسار : اليسر والسهولة ، وياسره : ساهله ولاينه .
(٣) كان بشر بن مروان أميراً على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة ومات بها سنة ٧٤ هـ وخلفه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفى .
(٤) الكرم : جمع كريم ، أديم وأدم وعمود وعمد .
(٥) الداء المخامر : المخالط .
(٦) لا مقلية : لا مكروهة ولا مبغضة .
(٧) الكامل للمبرد .

تَرَكْتُ عِيالى لا فوَاكِهَ عِندهُمْ ... وعِندَ ابن سَعدٍ سُكَّرٌ وَزَبِيبُ
تَحَنَّى العِظامُ الرَّاجِفاتُ من البِلى ... وليس لِداءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ (١)
مَنَعْتَ عَطائى يا ابْنَ سَعْدٍ وَإنمـــا ... سَبَقْتَ إلَىَّ المَوْتَ وَهْوَ قَرِيبُ
فَإنْ تَرْجِعُوا رِزْقى إلَىَّ فَإنَّهُ ... مَتَاعُ لَيَالٍ والحَيَاةُ كَذُوبُ

الضيف الثقيل

وفى الأبيات التالية يكشف جرير عن نفسية الضيف الثقيل ، ويصور تصرفاته تصويراً واقعياً ، مظهراً استياءه من كثرة تردده عليه ، واختلاق الأكاذيب :

لَوْ كُنْتُ فِى غُمْدانَ أَوْ فِى عَمَايَةٍ ... إذًا لَأَتَانِى مِنْ رَبِيعَةَ رَاكِبُ (٢)
بِوادِى الحُشَيفِ أَوْ بِجُرْزَةَ أَهْلُهُ ... أَو الجَوْفِ طَبٌّ بِالنُّزالةِ دَارِبُ (٣)
يُثِيرُ الكِلابَ آخِرَ اللَّيلِ صَوْتُه ... كَضَبِّ العَرادِ خَطْوُهُ مُتَقَارِبُ (٤)
فَباتَ يُمَنِّينا الرَّبِيعَ وَصَوْبَهُ ... وَسطَّرَ من لُقَّاعَةٍ وَهُوَ كاذِبُ (٥)

لا يشبعون . . . !

وقال يشكو الحاجة ، ورقة الحال ، وكثرة العيال ، ويصور البؤس تصويراً يستدر العطف ، ويستنزل الأكف ، فهو يعول كثرة لا تشبع ، ولا يعتريها هلاك ، وتمشى الأم فى هم ، مغبرة الوجه ، غائرة العينين ، يتقاسم الأبناء غبوقها : فيزداد الأنين وتفيض بالدمع العيون :

أَشكو إليكَ فَأَشْكِنِى ذُرِّيَّةً ... لاَ يَشْبَعُونَ وأُمُّهُمْ لا تَشْبَعُ

---

(١) الراجفات : المهتزة المضطربة .

(٢) غمدان باليمن ، وعماية بالبحرين ، ويقصد بالراكب هنا : الضيف .

(٣) الطب : الماهر الحاذق . والنزالة ككتابة : السفر . والدارب : المعتاد النزول على الناس ضيفاً .

(٤) لأنه ليس يدرى أين يقصد ، حتى تنبحه الكلاب ، فإذا نبحته قصد إليها .

(٥) أراد أنه يتحدث عن الغيث ومواقعه ، ويكذب فى ذلك حتى يأنس إليه مضيفه ورجل لقاعة : متكلم خطيب يلقع بالكلام ، ويقال : لقعه بعينه إذا أصابه بالعين .

كثُرُوا عَلَيَّ فما يَمُوتُ كَبيرُهمْ ... حتى الحِسَابِ ولا الصَّغيرُ المُرْضعُ

وَإذا نَظَرْتُ يَريبُنِي منْ أُمِّهِمْ ... عَينٌ مُهجَّجَةٌ وَخَدٌّ أَسْفَعُ[1]

وَإذا تَقَسَّمتِ العِيالُ غَبُوقَهَا ... كثُرَ الأَنينُ وَفَاضَ مِنها المَدْمَعُ[2]

رِشْنِي - فقد دخلتْ عَلَيَّ خَصاصَةٌ ... مِمَّا جَمَعْتَ وكلَّ خَيرٍ تَجْمَعُ[3]

لجامُ الجوامع

قال أبو عبيدة : كان جرير اشترى جارية من زيد بن النحار مولى بنى حنيفة . ففركته[4] وجعلت دمعها لا ترقأ ، بكاء على زيد ، وحبّ له . فقال جرير فى ذلك :

إذا ذَكَرَتْ زَيدًا تَرَقْرَقَ دَمْعُهَا ... بمَطْرُوفَةِ العَيْنَيْنِ شَوْساءَ طامِحِ[5]

تَبكى عَلَى زَيد ولم تَلْقَ مِثْلَهُ ... بَرِيئًا منَ الحُمَّى شَدِيدَ الجَوَانحِ[6]

أُعَزِّيك عَمَّا تَعْلَمِينَ وَقَدْ أرى ... بعَينَيْكَ من زَيْد قَذًى غَيرَ بارحِ

فَإن تَقْصدى فالقَصْد مِنِّى خَلِيقَةٌ ... وَإنتَجْمَحِى تَلْقَىْ لِجَامَ الجَوامِحِ[7]

---

(١) المهجة : الغائرة العينين . والسفع : سواد يعلو حمرة الخدين .

(٢) الغبوق : شراب العشى .

(٣) رشنى : أعطنى . الخصاصة : الفقر ، والحاجة .

(٤) الفرك : البغضة . وفركت المرأة زوجها : كرهته .

(٥) الشوساء : رافعة الرأس . والطامح : التى تبغى غير زوجها .

(٦) روى : ولم ترمثله صحيحاً . والمعنى : أنه شاب مجتمع صحيح ، يرضيها شديد الأضلاع والصدر .

(٧) تقصدى : ترشدى وتعتدلى . وجمحت المرأة : استعصت وغضبت وركبت هواها . قيل لجرير : ما لجام الجوامع ؟ قال : هذاك ؛ وأشار إلى سوط معلق .

قضيةٌ

نازع جرير حيا من تميم — وهم بنو حمان — فى ركية لهم [١] ؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عدى باليمامة ، يتحاكمون إليه . فبدأ جرير يبسط دعواه ، ويؤيدها بدفاع شعرى رجزى محكم ؛ فاستعاذ بالحاكم العادل من ظلم خصمه المعتدى ، وأبان أن تلك البئر موضع الخصومة ملك له ولقومه ، فقد جهدوا فى حفرها بأرض صلبة ، واستشهد بالثقات العدول من جيرانه ، حتى حمل خصمه على الاعتراف له اعترافاً ضمنياً فيما يدعى من غير قصد ، فحكم لجرير بالبئر ، وانتصر على الخصم . قال :

أَعوذُ بالأَمير غَيرِ الجَبَّارْ ... من ظُلمِ حِمَّانَ وتَحْوِيلِ الدَّارْ [٢]

ما كانَ قَبْلَ حَفْرِنا من مِحْفارْ ... وضَرْبِيَ المِنْقَارَ بعد المِنْقارْ [٣]

فى جبلٍ أَصَمَّ غَيْرِ خَوَّارْ ... يَصِيحُ بِالجُبِّ صِيَاحَ الصَّرَّارْ [٤]

لَهُ صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأَمْهارْ ... فاسْأَلْ بَنِى صَحْبٍ وَرْهَطَ الجرَّارْ [٥]

والسَّلَمِيِّينَ العِظامَ الأَخطارْ ... والجارُ قد يُخبرُ عن دار الجارْ [٦]

---

(١) طبقات فحول الشعراء والأغانى . والركية : البئر وجمعها ركى وركايا .

(٢) تحويل الدار : نقلها من بنى كلبب إلى أنفسهم عدواناً . الأمير : الحاكم الذى احتكموا إليه .

(٣) المحفار : مايحفر به . المنقار : حديدة كالفأس مستديرة لها خلف كالمعول تنقر به الحجارة والأرض الصلبة .

(٤) الجبل الأصم : الصلب المصمت . الخوار : الضعيف اللين . الجب : البئر . والصرار : نوع من الخنافس يصوت من أول الليل إلى الصبح ، أو الطائر الذى يصيح أشد الصياح كالبازى وغيره ، يصف وقع المنقار فى الصخر ، فيسمع له صوت ممتد كالصرير .

(٥) الأمهار : جمع مهر وهو ولد الفرس . بنو صحب : قبيلة من باهلة .

(٦) السلميون : أولاد سلمة الخير بن قشير . الأخطار : جمع خطر وهو القدر والمنزلة الرفيعة .

فرد عليه خصمه الحمانى بقوله :

ما لكُلَيْبٍ من حِمًى وَلا دارْ غيرُ مُقامِ أُتُنٍ وَأَعْيارْ
قُعْسِ الظُّهور دامياتِ الأَثْفَارْ[1]

فقال جرير : فمن مقامهن — جعلت فداك — أجادل. فقال ابن عدى للحمانى : قد أقررت لخصمك ، وحكم لجرير .

٣ — الشاعر الهجاءُ

(١) التحامه بالشعراءِ وهجاءُ غير قومه :

سَليطُ اللُّؤْم

تنازع بنو جحيش مع بنى الخطفى فى غدير بالقاع ، وجعلت بنو الخطفى تهجوهم ، وكانت بنو جحيش مفحمين ، لا يقولون الشعر ، فاستعانوا بغسان بن ذهيل السليطى ، فهجا بنى الخطفى قوم جرير ، والناس حوله يسمعون ، فقال جرير : احملونى على بعير ، فجاءوه بقعود ، فركبه وأقبل حتى أشرف على غسان والجماعة ، فرجز بهم ، وهو أول شعر قاله :

لَا تَحْسِبَنِّى عن سَليطٍ غافِلاَ إن تَعْشُ لَيْلاً بسليطٍ نازِلَا[2]
لا تَلْقَ أَقْرَانًا ولا صَواهلا ولا قِرًى للنَّازِلينَ عاجِلا[3]
أَبْلِغْ سَليطَ اللُّؤْمِ خَبْلاً خابلَا أَبْلِغْ أَبا قَيسٍ وأَبلِغْ ماسِلا[4]
والصُّلعَ من ثُمامَةَ الحَواقِلَا[5]

---

(١) الأتن : جمع أتان وهى الحمارة . الأعيار : جمع عير وهو الحمار . قعس : جمع أقعس وقعساء ، والقعس خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . الأثفار : جمع ثفر بفتحتين وهو سير فى مؤخر السرج يشد من تحت ذنب الدابة ، يبين سوء حالها من كثرة العمل وعدم الراحة لضياع الدار .
(٢) تعش : تقصد .
(٣) لاتجد فى بنى سليط أبطالا ولا خيلا ولا كرما .
(٤) الخبل : الفساد .
(٥) الحواقل : جمع حوقل وهو المسن .

أولادُ الأَقِنَّهْ

وفى رجز آخر يقول لبنى سليط :

إنَّ سَليطًا فى الخَسارِ إنَّهْ أوْلادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقِنَّهْ(١)
لا تُوعِدُونى يا بَنِى المِصَنَّه إنَّ لَهُمْ نُسَيَّةً لُعِنَّهْ(٢)

وفى رجز ثالث قال لهم :

إنَّ سَلِيطًا هُم شرارُ الخَلْقِ قَلَّدْتُهُمْ قلائِدًا لا تُبقى

وقال فى رابع :

إنَّ السَّليطىَّ خَبيثٌ مَطْعَمُهْ أَخْبَثُ شىءٍ حسبًا وأُمَّهْ

نَهارُه أَعمى وَليلهُ بَصير

وعند ماتعرض له « العناب » أعور بنى نبهان أجابه جرير بأبيات منها :

وجَدْنا بَنِى نَبْهانَ أذنابَ طَيِّئٍ وللنَّاسِ أذْنَابٌ تُرَى وصدُورُ
تَرى قزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ وَفى قَزَمِ المِعْزَى لَهُنَّ مُهورُ(٣)
وأَعْوَرَ من نَبْهَان أمَّا نَهارُهُ فَأَعْمَى ، وأَمَّا ليلهُ فبَصيرُ(٤)
وأَعْوَرَ من نَبْهانَ يَعْوِى ودُونَهُ منَ الليلِ بابَا ظُلْمَةٍ وسُتورُ(٥)

---

(١) عبيد أقنة : مفردها عبد قن : مالك هووأبواه .

(٢) المصنة : المتنة الريح . ونسية : تصغير نساء .

(٣) روى : تساق من المعزى . قزم المعزى : صغارها العليلة ، يريد أن نساءهم يمهرن خسيس المعزى لا كرائم الإبل .

(٤) أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات يسرق ويفسد .

(٥) يعوى : وهو صال ليستنبح الكلاب فيستدل بها على الناس . بابا ظلمة وستور : ظلمة شديدة .

دَعا وهْوَ حَى مثْل مَيْتٍ فَإِنْ يَحِنْ فَهَذَا لَهُ بعد المماتِ نُشُورُ[١]
رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يُهْتَدَى بِهَا يَكادُ سَنَاهَا فِى السَّماءِ يَطِيرُ[٢]

عِمَامَةُ اللُّؤْم

تعرض البعيث المجاشعى لقوم جرير ، فأجابه جرير بقصيدة منها :

وعاوٍ عوَى منْ غيْرِ شىءٍ رمَيْتُهُ بقارعةٍ أَنْفاذُها تقْطُر الدَّما[٣]
لعَمْرِى لقدْ جارَى دعِىٌّ مجاشِعٍ عَذُوماً على طولِ المُجاراةِ مرْجَما[٤]
ولاقيْتَ مِنَّا مثلَ غابةِ داحِسٍ ومَوْقِفه فاسْتَأْخِرَنْ أو تَقَدما[٥]
فَإِنِّى لَهاجِيكُم وإِنِّى لَرَاغبٌ بأَحسابِنا فضْلاً بنا وتكرُّمَا
سأَذْكرُ مِنكم كلَّ مُنتخَب القُرَى مِنَ الخُورِ لايَرْعى حِفاظاً ولاحِمَى[٦]
فأَيْنَ بنو القَعْقاعِ عَن ذَوْدِ فَرْتَنا وعن أَصْلِ ذاك القِنِّ أن يتقسَّما[٧]
يَبينُ إذا أَلْقَى العِمامَة لُؤْمُهُ وَتعْرِفُ وجْهَ العبدِ حين تعَمَّما[٨]
لقدْ وجَدَتْ بالقَيْنِ خورُ مجاشِعٍ كوجدِ النَّصارى بالمسيح بنِ مرْيَمَا[٩]

---

(١) يحن : يمت . نشور : بعث . هذا الهجاء فيه حياة له بعد موته لبقائه فى الناس.

(٢) مشبوبة : أى ناراً مشعلة . سناها : ضوؤها .

(٣) روى : بقارعة أقطارها . والقارعة : الداهية .

(٤) دعى مجاشع : هو البعيث . والعذوم : المضوض الذى يعض على لجامه ويصمم فى جريه. والمرجم : الذى يرجم الأرض رجماً شديداً أى يضربها ضرباً ، شبه جرير نفسه بفرس هذا شأنه .

(٥) يقول : لقيت منى نكداً وشؤماً كما لقى عبس وذبيان وفزارة فى داحس .

(٦) منتخب القوى : ذاهب العقل والقوى . والخور : الضعاف المتكسرون . والحفاظ : الأنفة .

(٧) القعقاع بن معبد بن زرارة كانت أم البعيث أمة له ، وكل أمة عند العرب تدعى « فرتنا ». والقن : ابن العبد والأمة . وأن يتقسما : أن يتقسموه فإنه عبد لهم .

(٨) تعرف لؤمه إذا تعمم وإذا وضع العمامة .

(٩) شبه نساء مجاشع بالخور من الإبل وهى الغزار الرقيقة الجلود الطويلة الأوبار الليئات الأبشار .

الدَّمَّاغَةُ أو الدُّهْقانة [١]

هكذا سمى قصيدته التى هجا بها الراعى النميرى ، وسمى قافيتها المنصورة ، وسمّاها العرب الفاضحة . نذكر منها هنا ما يتعلق بالهجاء بعد إذ ذكرنا منها فى مختارات الفخر والحماسة بعض ما فخر به :

أتلتَمِسُ السِّبابَ بنو نُمَيْرٍ ... فقدْ وأبيهُمُ لا قَوْا سِباباَ
فلا صلَّى الإلهُ على نُمَير ... ولا سُقِيتْ قُبُورُهم السَّحابَا[١]
ولو وُزِنتْ حُلوم بَنى نُمير ... على الميزان ما وَزَنَتْ ذُبابا
فصبرًا يا تُيوسَ بنى نُمَيْرٍ ... فإن الحرب مُوقِدةٌ شِهابَا[٢]
ألم تَرَنى صُبِبْتُ على عُبَيْدٍ ... وَقد فارَتْ أباجلُهُ وشَابا[٣]
أُعِدُّ له مواسِمَ حامياتٍ ... فيشفى حَرُّ شُعْلتها الجِرابا[٤]
فغُضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ ... فلا كعباً بَلغتَ ولا كِلابا
أتعدِلُ دِمنَةً خبُثَتْ وقلَّتْ ... إلى فَرْعين قد كثرا وطَابا[٥]
فيا عجبى أتوعِدُنى نُميرٌ ... براعى الإبلِ يَحْترِشُ الضِّبابا[٦]
لَعَلَّك يا عُبَيْدُ حسبتَ حَرْبِى ... تُقلِّدُك الأَصِرَّة والعِلابا[٧]
إذا نَهَضَ الكرامُ إلى المعَالى ... نهضْتَ بعُلْبةٍ وأثرْتَ نابا

---

(١) الدماغة : مبالغة من دمغ ، ودمغه : شجه حتى بلغت الشجة الدماغ . الدهقانة : الرئيسة القوية .

(٢) تيوس : جمع تيس وهو ذكر الظباء والمعز والوعول .

(٣) عبيد : الراعى النميرى شاعر مضر . فارت : تعقدت وورمت . الأباجل : جمع أبجل وهو عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بإزاء الأكحل .

(٤) غض الطرف : كف البصر .

(٥) الدمنة : نمير . والفرعان : كعب وكلاب .

(٦) الاحتراش : أن يجىء الرجل إلى جحر الضب ، فيحرك يده عليه ، فيحسبه الضب أفعى ، فيضربه بذنبه ، فلا يزال به حتى يأخذ بذنبه فيخرجه .

(٧) صر الناقة : شد ضرعها . والصرار ما يشد به ، والجمع أصرة . العلاب : آنية الحلب .

تيم وتميم

قال يهجو التيم – حين تعرض له شاعرهم عمر بن لجأ التيمى – ويحقر من شأنهم ، فهم ليسوا له أنداداً ، ولا يخشى وعيدهم ، قد ضل ضلالهم ، وخاب سعيهم ، وهان أمرهم ، وضاع حسبهم ، كرامهم لئام العالمين ، وسيدهم مسود ، ولؤمهم جديد ، فهم فيه سواء والعبيد ، خبثوا أصولا وفروعاً ، وقعدوا عن المكارم فدنوا ، وتسنمت تميم ذروة المجد فعلوا ؛ فشتان ما بين تيم وتميم :

أَبُونا مالكٌ وأَبُوكَ تَيْمٌ ... فهل تيْمٌ لِذِى حسبٍ نديدُ[١]

أَزَيْدَ مَناة توعِدُ يا ابن تيْمٍ ... تبيَّنْ أين تاه بك الوعيدُ[٢]

أَتُوعدُنا وتَمْنعُ ما أَرَدْنا ... ونأْخُذُ مِن ورائك ما نُريدُ

وقال النَّاسُ ضلّ ضلالُ تيْمٍ ... أَلَمْ يكُ فيهمُ رجُلٌ رشيد[٣]

ويُقْضَى الأَمرُ حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يُستأْمَرُون وهُمْ شُهُودُ

ولا حسبٌ فخرتَ بهِ كريمٌ ... ولا جَدٌّ إذا ازْدحمَ الجدودُ

لِئَامُ العالمينَ كِرامُ تيْم ... وسيِّدُهم وإن رغَمُوا مسُود

وإنَّك لو لقيتَ عبيد تيْم ... وَتيْماً قلتَ أَيُّهمُ العبيد[٤]

أُرى ليلاً يُخَالفُه نهارٌ ... ولؤْمُ التيْم ما اختلفا جديد[٥]

بخُبْثِ البذْرِ ينْبُتُ حرْثُ تيم ... فما طابَ النَّباتُ ولا الحصِيدُ[٦]

تمنَّى التَّيمُ أن أباهُ سعدٌ ... فلا سعدٌ أَبِيدُ ولا سعيدُ

---

(١) النديد : الشبيه .

(٢) زيد مناة بن تميم : جد جرير .

(٣) اقتباس قرآنى وفى ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى فى سورة النساء : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً » .

(٤) وفى رواية أخرى (وإنك لو رأيت) ، (قلت أيهما) .

(٥) ما : مصدرية زمنية أى مدة اختلاف الليل والنهار .

(٦) الحصيد : الزرع المحصود بعد نضجه .

وما لكم الفوارِسُ يابن تيْمٍ ... وَلا المستأْذَنُونَ ولا الوُفُودُ[١]

وإن الحاكمينَ لغيرُ تَيْمٍ ... وقينا العزُّ والحسبُ التَّليدُ[٢]

وإنَّ التَّيْم قد خبُثوا وقلُّوا ... فما طابوا ولا كثُرَ العديدُ

ثلاثُ عجائزٍ لهم وكلبٌ ... وأَشياخٌ على ثُلَلٍ قَعُودُ[٣]

أَترجو أَن تُسابِقَ سعْيَ قومٍ ... هُمُ سبقوا أَباك وهم قُعُودُ

فقد سلبتْ عصاك بنوتميمٍ ... فما تدْرى بأَىِّ عصاً تذُودُ[٤]

إذا تَيمٌ ثوتْ بصعيدِ أَرضٍ ... بَكتْ من خُبثِ لؤْمهِم الصَّعيدُ[٥]

فما تقْرِى ، وتنزِلِ يابنَ تَيْم ... وَعادةَ لؤْم قومك تستعيدُ[٦]

نَهى التَّيْمىَّ عُتبةُ والمثَنَّى ... وقالا سوفَ تبْهرُكَ الصَّعود[٧]

أَتيْمٌ تجعلون إلى تميمٍ ... بعيدٌ فضْل بينهما بعيد

سُيُوفُهم خَشَبٌ

قال يهجو بنى حنيفة ، ويرميهم بالجبن ، وأنهم ليسوا أهل سيف وخيل وحرب :

أَبنـاءُ نَخْلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ ... سيوفهُمْ خَشَبٌ فيها مَساحِيهَا[٨]

---

(١) وفى رواية (ولا يستأذنون) — ليس منهم الشجعان الذين يخوضون الحرب على الخيل ، ولا الملوك الذين تفد إليهم الوفود فتستأذن للدخول عليهم .

(٢) التليد : القديم العريق الأصل .

(٣) صورة تهكمية للهوان يريد بها جرير إضحاك الجماهير . والثلل جمع ثلة وهى ما يخرج من البئر من تراب عند حفرها .

(٤) يذود عن حسبه : يدافع عنه .

(٥) وفى رواية (بكى من خبث ريحهم الصعيد) والصعيد : وجه الأرض ، ثوت : أقامت .

(٦) ينزل على الناس ضيفاً وما من عادته إكرام الضيفان وهذا من لؤمه ولؤم قومه .

(٧) عتبة والمثنى : كانا نهيا عمر عن هجاء جرير . وتبهرك : تغلبك . والصعود : العقبة الكئود .

(٨) الحيطان جمع حائط : وهو البستان به نخل . والمساحى جمع مسحاة وهى الفأس .

قَطْعُ الدِّبَارِ وَأَبْرُ النخلِ عادتُهمْ قِدْماً وما جاوزَتْ هذا مساعيهَا[١]
رَأَت حنيفةُ إذ عُدَّتْ مَساعيها أنْ بئسَما كان يَبْنِي المجدَ بانيها
لو قيلَ أينَ هَوادِي الخيْل ما عَرَفوا قالوا لأذنابها هَذِي هَواديهَا[٢]
أو قيلَ إن حِمَامَ الموْتِ آخِذُكُمْ أو تُلجِمُوا فرَساً قامتْ بَواكيهَا
لمَّا رَأَتْ خالدًا بالعِرْضِ أَهْلَكَها قَتْلًا وأَسْلَمَها ما قالَ طاغِيها[٣]
دانت وأعطَتْ يَدًا للسِّلم صاغرةً منْ بعدِ ما كادَ سَيْفُ اللهِ يُفنيها[٤]

(ب) النقائض :

١ ـ الفَرزْدق ـ البَعيث ـ جرير

من سوء ما منى به المجتمع الأموى استطاعة شر الهجاء بين الشعراء ، حتى شهد الناس بالمربد شعراء القبيلة الواحدة بسب بعضهم بعضاً ، فينشرون المخازى والسوءات ، ويهتكون الأعراض والحرمات ، ويكشفون عن عورات النساء بأوصاف يعف اللسان عن ذكرها ويقف القلم عن تسطيرها . من ذلك ما جرى بين الفرزدق والبعيث وجرير : فقد تعرض البعيث لقوم جرير ، فهجاه جرير وفضح نساء قوم الفرزدق ، ففزعن إليه ، وقد قيد نفسه ليجمع القرآن ، ففض القيد ، وقال :

أَلا اسْتهزَأَتْ منِّي هُنَيْدَةُ أَنْ رأَتْ أَسيرًا يُدانِي خَطوهُ حَلَقُ الحِجْلِ[٥]

وعرض بالبعيث المجاشعى الذى جره وقومه إلى الشر ، فقال البعيث يجيب الفرزدق ويهجو جريراً بقصيدة مطلعها :

أَهاجَ عليْكَ الشوقَ أَطلالُ دِمْنَةٍ بناصِفةِ الجَوَّيْنَ أوجانب الهَجْلِ[٦]

---

(١) أبر النخل : تلقيحه . الدبار : مشارات المزرعة .
(٢) هوادى الخيل : مقدمها وأعناقها .
(٣) خالد : خالد بن الوليد . العرض : واد باليمامة . طاغيها : مسيلمة الكذاب .
(٤) سيف الله : لقب خالد بن الوليد .
(٥) هنيدة : امرأة الزبرقان بن بدر ، وهى عمة الفرزدق . الحجل : القيد .
(٦) الناصفة : المسيل الواسع . والجو : ما انخفض من الأرض ، وكذلك الهجل والجمع هجول .

فقال جرير يجيب البعيث ويهجو الفرزدق بقصيدة منها :

القين العراقى ، والقين المقيد

لعَمْرِى لقد أَخْزَى البَعيثُ مُجاشِعاً ... وقالَ ذَوُو أحسابِهم ساءَ ما يُبْلِى

جَزِعْتَ إلى دُرْجَىْ نَوَارَ وغِسْلها ... وأصبحْتَ عبداً لا تُمِرُّ ولا تُحْلِى (١)

لعَمرى لَئِنْ كان القُيونُ تواكَلُوا ... نَوارَ لقدْ آبَتْ نَوارُ إلى بَعْلِ (٢)

وإن الذى يَلقَى البَعيثُ ورَهطُهُ ... هو السَّمُّ لا دُرْجَا نَوارَ معَ الغِسْلِ

وهل أنتَ إلاَّ نُخْبَةٌ من مُجاشِع ... تُرَى لِحْيَةً فى غَير دِين ولا عقْلِ (٣)

بَنى مالكٍ لا صِدقَ عندَ مُجاشعٍ ... ولكنَّ حَظًّا من فِيَاشٍ عَلَى دَخْلِ (٤)

وقد زَعموا أن الفرزدَقَ حيَّةٌ ... وما قَتَلَ الحَيَّاتِ من أحدٍ قبلِى

وما مارَسَتْ من ذى ذُبابٍ شَكيمَتى ... فيُفلِتَ فَوْتَ الموْتِ إلاَّ عَلَى خَبْلِ (٥)

ولمَّا اتَّقى القَيْنُ العِرَاقِىُّ باسْتِهِ ... فَرَغتُ إلى القَيْنِ المُقيَّدِ فى الحجلِ (٦)

رَأَيتُك لا تَحمِى عقَالاً ولم تُرِدْ ... قِتَالاً فما لاقيْتَ شرًّ من القتلِ (٧)

---

(١) الدرج : ما تضع فيه النساء الطيب . والغسل : ما غسلت به رأسك . ونوار بنت أعين بن ضبيعة زوج الفرزدق . يقول له : لم يكن لك إلا الرجوع إلى امرأتك والجلوس معها .

(٢) المواكلة : اعتماد الرجل على صاحبه . آبت إلى بعل : رجعت إلى زوج . يريد أن بنى مجاشع تواكلوا نوار فلم يتزوجوها ، فصارت بغير رضاها إلى بعل غير كفء لها هو الفرزدق .

(٣) النخبة : المنخوب القلب الجبان . أى أنه كبير ملتح ذاهب العقل والدين .

(٤) الفياش : الفخر بالباطل والطرمذة . دخل : أمر فاسد .

(٥) ذباب : حدة وجهل . شكيمة : حدة نفسه ومضاؤه . خبل : فساد واختلاج فى بدنه من ذهاب يد أو رجل .

(٦) القين العراق : البعيث . والقين المقيد : الفرزدق . يقول : حين انهزم البعيث وولى الدبر هارباً ، فررت إلى الفرزدق .

(٧) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم .

فأجابه الفرزدق بأول قصيدة هجاه بها وفيها يهجو البعيث :

أَلَم تَرَ أَنّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيقَةٍ بَكَيْتُ فنادتنى هُنَيْدَةُ مالِيَا[١]

فأجابه جرير بقصيدته :

أَلَا حَيِّ رَهْبَى ثم حَيِّ المَطالِيَا فقد كان مأْنوساً فأَصبحَ خالِيَا[٢]

وفيها يقول :

دعُوا المجدَ . . .

أنا ابنُ صَرِيحَيْ خِنْدِفٍ غيرَ دِعوَةٍ يكونُ مكانُ القلبِ منها مكانِيا[٣]

وما يَسَّرَت عند الحِفَاظِ مُجاشِعٌ كريماً ولا مِن غايةِ المجدِ دانِيَا

دعُوا المجْدَ إلاَّ أن تسوقوا كُزومَكُمْ وقَيْناً عِراقيًّا وقَيْناً يمانِيَا[٤]

تَراغَيْتُمُ يومَ الزُّبيْرِ كأَنكمْ ضِباعٌ بِذِى قارٍ تَمَنَّى الأَمانيا[٥]

وآبَ ابنُ ذَيَّالٍ بأَسْلابِ جارِكمْ فسُمِّيتُمُ بعد الزُّبيْر الزَّوانيا[٦]

---

(١) جو كل شيء : وسطه . سويقة : موضع . هنيدة بنت صعصعة : عمته .

(٢) رهبى والمطاليا : موضعان .

(٣) الصريح : الخالص . صريحا خندف : مدركة وطابخة ابنا إلياس بن مضر . وخندف : أمهما . والدعوة : أن يدعى لغير أبيه وقومه .

(٤) الكزوم : الناقة المسنة . يقول : ليس لكم فخر إلا عقر الناقة التى عقرها غالب أبوكم يوم عاقر سحيم الرياحى . القين : الحداد . القين العراق : البعيث . القين اليمانى : الفرزدق نسبة إلى اتجاه منازلهما .

(٥) أى لم تكن همتكم يوم غدركم بالزبير بن العوام إلا الرغاء كما تفعل الضباع لشدة شبقها ؟

(٦) ابن ذيال : عمرو بن جرموز بن الذيال قتل الزبير رضوان الله عليه وسلب سيفه وفرسه وخواتمه .

أحلامنا تزن الجبال

قال الفرزدق يفخر ، ويهجو جريراً :

إنَّ الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا ... بيْتاً دعائمه أعزُّ وَأَطْـوَلُ(١)

بَيْتاً بَنَاه لنا المَليكُ وَمَا بَنَى ... حَكَمُ السَّماءِ فَإنَّهُ لا يُنْقَلُ(٢)

بيتــاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائهُ ... ومُجاشِعٌ وأَبو الفوارس نَهْشَلُ(٣)

يَلجونَ بَيْتَ مَجُاشِعٍ وإذا احْتَبَوْا ... بَرَزوا كأَنَّهُمُ الجبَالُ المُثَّلُ(٤)

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِها ... وَقَضىَ عَلَيْكَ بِهِ الكِتابُ المُنْزَلُ(٥)

أَحلامُنا تَزِنُ الْجِبَالَ رزانَةً ... وتَخَالُنَا جِنًّا إذَا ما نَجْهَلُ(٦)

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إن أَرَدْت بناءنا ... ثَهْلانَ ذا الهضبات هل يتَحَلْحَلُ(٧)

يا ابن المراغَةِ أَيْنَ خالُكَ ؟ إننى ... خالى حُبَيْشٌ ذو الفعال الأَفْضَلُ(٨)

خالى الذى غَصَبَ المُلوكَ نفوسَهُمْ ... وإليه كان جباءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ(٩)

وَشُغلْتَ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ ومابَنَوْا ... إن اللئيم عن المكارِمِ يُشْغَلُ

---

(١) سمك السماء : رفعها .

(٢) المليك وحكم السماء : الله جل شأنه .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم بن مالك ، قوم الفرزدق . محتب بفنائه : قد اشتمل بالثوب فى جلسة الوقور بفناء داره .

(٤) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بثوب أو نحوه . المثل : المنتصبة الراسخة.

(٥) ضربت عليك العنكبوت : يريد أن بيت جرير واهن ذليل كخيوط بيت العنكبوت .

(٦) أحلامنا : عقولنا . نجهل : نغضب ونثور .

(٧) ثهلان : جبل بنجد . يتحلحل : يزول ويتحرك .

(٨ ، ٩) المراغة : الأتان ، وهو لقب نبزت به أم جرير . حبيش بن دارم : خال الفرزدق وكان قد أسر عمرو بن الحارث أحد ملوك الغساسنة ، وجزّ ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه بجزية من المال كل عام حتى يموت .

فأجابه جرير بأبيات يهجو فيها وينقض فخره منها :

أعددتُ للشعراءِ سُمًّا ناقِعـاً ... فسقيت آخِرَهُمْ بكأْسِ الأَوَّلِ (١)

لَمَّا وضَعْتُ على الفَرَزْدقِ مِيسَمِي ... وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ (٢)

أخزى الذى سمك السماءَ مُجَاشِعاً ... وبَنَى بِنَاءَك فى الحضيضِ الأَسْفَلِ (٣)

ولقد بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتِ يُبْتَنى ... فهدمْتُ بَيْتَكُمُ بِمِثْلَىْ يَذْبُلِ (٤)

إنى بنى لى فى المكارِمِ أَوَّلى ... ونَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزَّمَانِ الأَوَّلِ (٥)

إنِّى انْصَبَبْتُ مِنَ السَّماءِ عليكُمُ ... حتى اختطفْتُكَ يافَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ (٦)

أحـلامنا تَزِنُ الجبالَ رزانة ... ويفوق جاهِلُنا فِعالَ الجُهَّلِ

فارجع إلى حَكَمَىْ قريش إنهم ... أهل النبوةِ والكِتابِ المنْزَلِ (٧)

كان الفرزدقُ إذ يعوذُ بخـالِه ... مِثْلَ الذَّلِيلِ يَعوذُ تَحْتَ القَرْمَلِ (٨)

إن الذى سمك السماءَ بنى لنا ... عِزًّا عَلَاك فمَا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ (٩)

أَبْلِغْ بنى وقبانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ ... خَفَّتْ فلا يزنون حَبَّةَ خَرْدَلِ (١٠)

أَلْهَى أَباك عن المكارِمِ وَالْعُلَا ... لَىُّ الكتائِفِ وَارْتفَاعُ المِرْجَلِ (١١)

---

(١) السم الناقع : القاتل .

(٢) الميسم : المكواة والمراد الأهاجى . ضفا : ذل . جدع : قطع .

(٣) أخزى : أذل . الحضيض : أسفل الجبل . (٤) أخس : أدنأ . يذبل : جبل بنجد .

(٥) الكير : منفاخ الحداد . (٦) على : أعلى .

(٧) حكما قريش : هاشم وعبد مناف . الكتاب المنزل : القرآن .

(٨) القرمل : شجر ضعيف لاورق له . (٩) علاك : قهرك . منقل : تحول وانتقال .

(١٠) بنووقبان : مجاشع قوم الفرزدق . خفت : طاشت . الخردل : أخف الحبوب وزناً .

(١١) لى الكتائف : ثنى الحديد أو فتل الحبال . المرجل : القدر .

الإنسان القرد

ساق جرير فى أبياته التالية جل مخازى الفرزدق ، فوصفه بأنه كان قرداً ثم استدار إنساناً — فهل قرأ دارون شعر جرير قبل تدوين نظريته ؟ — ورماه بالفسق والقعود عن حماية عرض أخته جعثن ، والعجز عن الثأر لقتل أعين أبى النوار . ثم أفحش حين ذكر القين وليلى أم غالب بن صعصعة ، والبعيث وأمه ، والغدر بالزبير وقتله ، وسنكتفى بإثبات ما لا فحش فيه من الأبيات :

تَسيلُ عليهمُ شُعَبُ المخازِى ... وقد كانوا لسَوْءَتِها قَرارَا[١]

وهل كان الفَرَزدَقُ غَير قِرْدٍ ... أَصابتهُ الصواعقُ فاستدارا[٢]

وكنتَ إذا حَللْتَ بدارِ قَومٍ ... رَحَلتَ بخزْيَةٍ وتركتَ عارَا[٣]

أَتذكرُ صَوتَ جِعْثِنَ إذ تُنادِى ... ومَنْشَدَكَ القَلائدَ والخِمارَا[٤]

أَلم تَخشَوْا إذا بلَغ المخازِى ... على سَوْءَاتِ جِعْثنَ أَن تُثارَا[٥]

فإنَّ مَجَرَّ جِعْثِنَ كان لَيْلاً ... وأَعْيَنُ كان مقْتلُهُ نهارَا[٦]

فلوْ أَيَّامَ جِعْثنَ كان قَوْمِى ... هُمُ قَوْمَ الفرزدَقِ ما اسْتَجارَا

تَزَوَّجتُمْ نَوارَ ولمْ تُريدُوا ... لِيُدْرِكَ ثائِرٌ بأَبى نَوَارَا[٧]

---

(١) الشعبة : مسيل .

(٢) استدار : استدار إنساناً بعد أن كان قرداً .

(٣) نزل الفرزدق بامرأة فأضافته وأحسنت إليه ، ثم راودها عن نفسها فاستغاثت ، فطلب فهرب ، فعيره جرير بذلك .

(٤) جعثن : أخت الفرزدق ، كانت تتحدث مع جارتها ظلياء بنت طلبة ، فاشتهى الفرزدق حديثها ، وشغلت أخته ليلة فحرك الجلجل الذى كانت جعثن تصفق به لظلياء ، فجاءت ظلياء كعادتها وارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت إلى رحلها ، فلما سمع بأمرها تجمع فتيان من مقاعس ، واستخرجوا جعثن من خبائها ، ثم سحبوها ليسمعوا بها ، فبالغ جرير فى هذا الحادث . ومعنى البيت : تركت أختك تستغيث وأخذت تسأل عن قلائدها وخمارها .

(٥) تثار : تذكر ويتحدث عنها .

(٦) أعين : أبو النوار وهو ابن ضبيعة بن ناجية ، وجهه على بن أبى طالب إلى البصرة فقتله بها رجل من بنى حوى بن عوف بن سفيان بن مجاشع .

(٧) تزوجتموها ولم تطلبوا بثأر أبيها .

الأَربعة الأَشرار

وفى قصيدة أخرى يهجو الفرزدق والبعيث وأمه وأباه ، وبنى مجاشع ويعد مخازيهم ، ويعرض بنسائهم ، فيقول :

إنَّ الفرزدَقَ والبَعِيثَ وأُمَّهُ ... وأَبا البَعيثِ لَشَرُّ ما إسْتَارِ[١]

طاحَ الفَرَزْدَقُ فى الرِّهانِ وعمُّهُ ... غَمْرُ البَدِيهةِ صادقُ المضمارِ[٢]

ترْجو الهَوادَةَ يا فرزدقُ بعد ما ... أَطفأْتَ نارك واصطَلَيْتَ بنارى

إن البَعيثَ وعبْدَ آلِ مُقاعِسٍ ... لا يَقْرَآنِ بسورةِ الأَحْبارِ[٣]

كنتمْ بَنى أَمَةٍ فأُغْلِقَ دونكمْ ... بابُ المَكارمِ يا بَنى حَجّارِ[٤]

إنَّ اللِّئامَ بَنى اللئامِ مُجاشعٌ ... والأَخْبَثون مَحَلّ كلِّ إزار

سارَ القصائدُ واستَبَحْنَ مُجاشعاً ... ما بَينَ مِصرَ إلى جَنوبِ وَبَارِ[٥]

يَتلاومون وقد أَباحَ حَريمَهمْ ... قَيْنٌ أَحَلَّهمُ بدار بَوَارِ[٦]

لاَ تَفخرنَّ إذا سَمِعتَ مُجاشِعاً ... يتخاوَرونَ تَخاوُرَ الأَثْوارِ[٧]

أَعَلَيَّ تَغضبُ أَنْ قُفَيْرَةُ أَشْبَهَتْ ... منـــهُ مكانَ مُقلَّدٍ وعِذَارِ[٨]

نامَ الفَرَزْدَقُ عن نَوَارَ كنوْمِهِ ... عن عُقْرِ جِعْثِنَ ليْلةَ الإِخْفارِ[٩]

---

(١) الإستار : وزن أربعة ، وهى معرب جهار بالفارسية .

(٢) البديهة : المفاجأة ، يقول إن عمه حاضر الجواب يغمر من يبدهه فى المجاراة والقاء .

(٣) عبد آل مقاعس : الفرزدق . ومقاعس : الحارث وولده عبيد تقاعسوا عن الحلف ، فسموا مقاعساً . سورة الأحبار : سورة المائدة . يعنى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فهم لا يوفون بعهدهم .

(٤) بنى حجار : من مجاشع .

(٥) وبار : أرض منقطعة وراء يبرين ، زعموا أن الجن غلبت عليها وسكنتها .

(٦) بوار : هلاك .

(٧) التخاور : الخوار وهو صوت الثور .

(٨) قفيرة : جدتهم . المقلد : العنق — ويعنى بالعذار : العارضين أى الخدين .

(٩) الإخفار : نقض العهد .

إنَّ القصائدَ لن يزلْنَ سوائحاً ... بحَديث جِعْثِنَ ما تَرَنَّمَ سارِى

لمَّا بَنَى الخَطَفَى رَضِيتُ بما بَنَى ... وأَبو الفرزْدَقِ نافخُ الأَكيارِ[١]

وتَبِيتُ تَشربُ عِندَ كلِّ مُقَصَّصٍ ... خَضِلِ الأَنَامل واكِفِ المِعصارِ[٢]

لا تَفخرنَّ فإن دينَ مُجاشعٍ ... دينُ المجوسِ تطوفُ حَوْل دُوارِ[٣]

ضربةُ الرومىّ

حج سليمان بن عبد الملك ، وحجت الشعراء معه ، ولما كان بالمدينة تلقود بأربعمائة أسير رومى ، فأمر بعض من حضر بضرب الأسرى ، ففعلوا وقتلوا ، ثم دفع إلى جرير أسيراً ، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضرب الأسير ، وأبان رأسه . ودفع إلى الفرزدق أسيراً ، فدسوا إليه سيفاً كهاماً لا يقطع ، فتناوله وهزه وضرب الأسير ، فلم يصنع شيئاً . فألقاه مغضباً بين ضحك سليمان والناس ، قال : هذه ضربة سيقول فيها هذا — يعنى جريراً — وتقول فيها العرب . ثم أنشد :

فإن يكُ سيفٌ خَان أو قدَرٌ أَتَى ... لِتَأْخيرِ نفسٍ حتفُها غير شاهدِ[٥]

فسيفٌ بنو عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بِيَدَىْ ورقَاءَ عن رأْس خالدِ[٦]

كذاك سُيُوفُ الْهند تنْبُو ظُبَاتُها ... ويَقطَعْنَ أَحياناً مَنَاطَ القلائدِ[٧]

وقال فى قصيدة أخرى :

ولن نقتلَ الأَسْرى ولكن نفكُّهم ... إذا أَثْقَلَ الأَعناقَ حملُ المغارمِ

---

(١) الأكيار : جمع كير وهوزق ينفخ فيه الحداد .

(٢) يصور فسق الفرزدق وملازمته بيوت الخمارين . المقصص : الذمّى الذى جزت ناصيته وهو الذى يبيع الخمر . والمعصار : الخمر .

(٣) دوار : صنم .

(٤) « طبقات فحول الشعراء » و « النقائض » .

(٥) الحتف : الموت والأجل . شاهد : حاضر .

(٦) نبا السيف : لم يؤثر ولم يقطع . ورقاء بن زهير ، وكان قد ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ضربات فلم يغن شيئاً .

(٧) سيوف الهند : تصنع من حديد الهند ، وهى من أجود السيوف عند العرب ، ظباتها : جمع ظبة وهى حد السيف . المناط : ما تناط فيه أى تعلق يعنى الرقبة . القلائد : جمع قلادة وهى حلى يعلق بالعنق .

فهل ضربةُ الرومىِّ جاعلةٌ لكم ... أباً عن كُليْب أو أباً مثلَ دارم[١]

فأجابه جرير بقوله :

أكلَّفْتَ قيساً أن نَبَا سيفُ غالبٍ ... وشاعتْ له أُحدوثَةٌ فى المواسم

بسيفِ أبى رغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضربْتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ غالم[٢]

ضربْتَ به عند الإمام فأُرعِشَتْ ... يَدَاك وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارم[٣]

ضربْتَ به عُرقوبَ نابٍ بِصَوْأَرٍ ... ولا تضربُون البيضَ تحت الغمائم[٤]

عنيفٌ بِهزِّ السيف قيْنٌ مُجاشِعٌ ... رفيقٌ بأَخْراتِ الفُئُوسِ الكرازِمِ[٥]

ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يعابُ سيِّدٌ إذا حَبا ... ولا يُعابُ صارِمٌ إذا نبا

ولا يُعابُ شاعرٌ إذا كبَا

ثم جلس وهو يقول :

ولن نقتل الأَسرى ولكن نفكهم. . . . إلخ

---

(١) وفى رواية أخرى أنه قال :

أيعجبُ الناسُ إن أضحكتُ سيِّدَهُمْ ... خليفةَ اللهِ يُستَسْقَى بهِ المطرُ

لم يَنبُ سيفِى من رُعبٍ ولا دَهشٍ ... عن الأَسير ولكن أخَّر القَدَرُ

ولن يقدِّمَ نفساً قبل ميتَتِهـا ... جمعُ اليدينِ ولا الصَّمْصامةُ الذَّكرُ

(٢) أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جد الفرزدق لقب به لأنه كان خطيباً ذا بيان ولسان يرغو به كما ترغو الإبل . والحارث بن ظالم المرى كان من فتاك العرب .

(٣) المحدث : الحديث الصنع لم يجرب .

(٤) روى : العمائم . والغمغمة : أصوات لا تفهم يحدث مثلها فى الحرب . عرقوب ناب بصوأر : أراد معاقرة غالب بن صعصعة أبى الفرزدق بصوأر . وصوأر : واد ذاهب فى الأرض .

(٥) خرت الفأس : ثقب الفأس الذى يقع فيه العمود . الكرازم : الفئوس التى لها رأس عظيم : يريد أنه حداد .

٢ – جرير والأخطل

ملحمة جرير :

أنشد هذه الملحمة فى هجاء الأخطل ، وقد بدأها بالنسيب ، فحيا الديار ، ودعا لها بالسقيا ، ووصفها ، وذكر الصبا والفراق ، وناجى خيال أم حزرة ، ويوم دارة صلصل ، ووصف رحلة الفراق ، ووعثاء السفر ، وما أصابه وأصاب المطى من سآمة وكلال .

ثم وصل نسيبه بهجاء تغلب ، فقبح وجوههم ، وغمزهم من ناحية الدين ، ونشوة الخمر التى تفقدهم صوابهم ، ورماهم بذلة السؤال ، وخسة اللؤم .

ثم يشيد ببطولة قيس يوم مرج الكحيل ، وتسوة حملتها على تغلب ، ويصف ضروب الشجاعة وإكرام الخيل ، وينتقل إلى تحقير الأخطل ، ويعرض بأمه . وفى أثناء ذلك يفخر بقومه وشجاعتهم ويذكر التحام الفرسان فى يوم مرج الكحيل ويوم البشر لقيس على تغلب ، ويوم ذى بهدا ليربوع وقد أسروا فيه الهذيل التغلبى ، ويغالى جرير فى هجاء تغلب إلى أن يتناول بنى مجاشع بأسلوب هجائى ساخر بارع ، فيسبهم وهو منهم ، باستفهام إنكارى يجمع المخازى فى بيت واحد ، فيبوءون بالعار ، ويذهب بالفخار ...

أَوَجَدْتَ فينَا غيرَ غَدرِ مُجاشِعٍ ومَجَرَّ جِعْثِنَ والزُّبيْرَ مقَالا

وفى هذه الملحمة أبيات استشهد بها النحاة ، وأبيات ضربنا عنها صفحاً لفحشها ، وأخرى تركت آثاراً فى المجتمع كبيته السائر فى الهجاء :

والتَّغْلبِىُّ إذا تنحنح لِلْقِرَى حَكَّ اسْتَهُ وتمثَّلَ الْأَمْثَـالا

وبيته الذى أثار ثائرة الزنج :

لاَ تَطْلُبنَّ خُئُولَةً فى تغْلِبٍ فالزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنهمُ أَخْوَالا

مما حفز شاعرهم سنيح بن رياح مولى بنى ناجية على التعرض له بالهجاء . وإليك هذه الملحمة فى مفصل أقسامها :

النسيب : الأطلال والديار :

حَىِّ الغداة برامةَ الأَطْلالا رَسْماً تحمَّلَ أَهلُهُ فأَحَالا[1]

---

(١) رامة : ماء لبنى قيس على اثنتى عشرة مرحلة من البصرة إلى مكة ، وبينه وبين الرمادة ليلة وهو آخر بلاد تميم . والأطلال : ما شخص من آثار الديار . والرسم : الأثر . وتحمل : ارتحل . وأحال : أتت عليه أحوال ، أو تحول وتغير ، وكلا المعنيين لازم للآخر ، وروى عمارة بن بلال ابن جرير : تقادم عهده أى قدم .

إن السَّوَارِيَ والغوادِي غادرتْ ... لِلريح مُخْتَرَقاً بِهِ وَمَجَالا[١]
لَمْ أر مثلكَ بعد عهدِك مَنزِلاً ... فَسُقِيتَ من سَبَلِ السِّماكِ سِجَالاَ[٢]
أَصْبحْت بعد جميع أهلِكَ دِمنةً ... قَفْرًا وكُنتَ مَرَبَّةً مِحْلالاَ[٣]
ولَقدْ عَجِبْتُ من الدِّيَارِ وأَهْلِها ... والدَّهْرِ كيفَ يُبدِّلُ الأَبْدَالاَ
ورأَيْتُ راحلَةَ الصَّاقَدْ أَقصرتْ ... بعد الوَجيفِ وملَّت التَّرْحَالاَ[٤]

الفراق :

إن الظَّعَائِنَ يَوْمَ بُرْقَةِ عـاقلٍ ... قَدْ هِجْنَ ذا سَقَمٍ فَزِدْن خَبَالاَ[٥]
طَرِبَ الفؤادُ لِذِكْرِهِنَّ وقَدْ مضَتْ ... باللَّيْلِ أَجْنِحَةُ النُّجُوم فمالاَ[٦]
يجعلنَ مَدْفعَ عاقِلينِ أَيامِناً ... وجعلنَ أَمعز رامتينِ شِمَالا[٧]
لا يَتَّصِلْنَ إِذَا افتخرن بِتغلِبٍ ... وَرُزِقْنَ زُخْرُفَ نِعْمَةٍ وَجَمَالا[٨]

طيف أم حزرة :

طَرَق الخيالُ لِأُمِّ حَزْرَةَ مَـوْهِناً ... ولَحَبَّ بِالطَّيْفِ المُلِمِّ خَيالا[٩]

---

(١) السوارى : جمع سارية وهى السحابة تسرى ليلا . والغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة أو تمطر غدوة . والمخترق والمجال : الممر والمسلك .

(٢) لم أر : لعلها لم أرض . ولعلها صحيحة كما وردت فيكون قد ألحق الطى بالتفعيلة الأولى من البيت : السبل : المطر . والسماك : نوء من أنواء الصيف يكثر فيه المطر ، وسجال : دلاء ماء .

(٣) الدمن : آثار الناس . والمربة : المألوفة المختارة . والمحلال : المختارة للحلة .

(٤) الوجيف : ضرب من سير الإبل .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج . والبرقة : أرض ذات حصى ورمل ، وربما خالطه طين.

(٦) أجنحة النجوم : « السواقط منها » لجنوحها عند سقوطها . وميل الليل : تهوره وسقوطه .

(٧) مدفعه : مجرى سيله . عاقلين : مثنى قصد به المفرد . وكذلك رامتين . والأمعز : الأرض ذات الحصى . وروى : فجعلن مدفع .

(٨) الزخرف : الحسن .

(٩) الطروق : المجىء بالليل . والموهن : نحو من نصف الليل . والملم : النازل .

يالَيْتَ شِعْرِى يَوْمَ دَارَةِ صُلْصُلٍ أَتُرِيدُ صَرمِى أَمْ تُرِيدُ دَلالا[١]
لوْ أَن عُصْم عَمَايَتينِ ويَذْبُلٍ سَمِعتْ حديثكِ أَنْزَلَ الأَوعالا[٢]

الرحلة والمطى :

حُيِّيتِ لستِ غدًا لَهُنَّ بصاحبٍ بحَزِيز وجْرَةَ إذ يخِدْن عِجَالاَ[٣]
أَجْهَضْن مُعجلةً لستةِ أَشهرٍ وحُدِينَ بعدَ نِعَالِهِنَّ نِعَالاَ[٤]
وإذا النَّهارُ تَقَاصَرَتْ أَظْلالهُ وَوَنَى المطِىُّ سَآمَةً وكلالا[٥]
رَفَعَ المَطِىُّ بِكُلِّ أَبيَضَ شَاحِبٍ خَلَقِ القَمِيصِ تَخَالُهُ مُخْتالاَ[٦]

هجاء تغلب :

إنِّى جُعِلْتُ ـ فَلَنْ أُعافَ تَغْلِباً ـ لِلظَّالمينَ عُقُوبَةً ونَكالاَ
قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ تَغْلِبَ إنَّها هَانَتْ علىَّ مَرَاسِناً وسِبَالا[٧]
قَبَحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا شَبَحَ الحجِيجُ وَكَبَّروا إهْلالا[٨]
والتَّغْلبِىُّ إذا تنحنح لِلْقِرَى حَكَّ اسْتَهُ وتمثَّلَ الأَمْثَالا[٩]

بطولة قيس ويوم مرج الكحيل :

أَنسيتَ يَوْمَكَ بالجَزِيرَة بَعْدَمَا كانَتْ عواقبُه عليكَ وَبَالاَ

---

(١) دارة صلصل : موضع . والصرم : القطع بالفراق .
(٢) العصم : الوعول لبياض فى أيديها . وعماية ويذبل : جبلان بالعالية .
(٣) وجرة : دون مكة بثلاث مراحل لبنى سليم . والحزيز : الغليظ المنقاد مستطيلا . والوخد : ضرب من السير . وروى : كرى فلست .
(٤) الإجهاض : أن تلقى الحامل قبل وفاء مدة الحمل .
(٥) وَنى : فتر . والسآمة : الملالة والضجر . الكلال : التعب .
(٦) رفع المطى : اختياله فى سيره .
(٧) المراسن : الأنوف وأحدها مرسن . والسبال : الشوارب واحدها سبلة .
(٨) الشبح : رفع الأيدى بالدعاء . والإهلال : رفع الصوت .
(٩) يصف التغلبيين بالشح والدناءة واللؤم ، لتنحنحهم عند مقابلة الضيفان وإثيانهم الحركات الدنيئة ، والتماسهم المعاذير بتمثل الأمثال .

حَمَلَتْ عليكَ حُماةُ قَيْسٍ خَيْلَها ... شُعْثاً عَوَابِسَ تحمِلُ الأَبطالَا[١]

ما زِلْتَ تَحسِبُ كلَّ شيءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلاً تَشُدُّ عليكمُ ورِجالَا

زُفَرُ الرَّئيسُ أبو الهُذَيْلِ أَبادَكمْ ... فَسبَى النِّساءَ وأَحْرَزَ الأَمْوالَا[٢]

قالَ الأُخَيْطِلُ إذ رأَى رَاياتِهِمْ ... يا مَارَ سَرْجِسَ لَا نُرِيدُ قِتالَا

هلاَّ سأَلْتَ غُثَاءَ دِجْلَةَ عنكمُ ... وَالخامِعَـاتُ تجمِّعُ الأَوْصالَا[٣]

خزى الأخطل :

تَركَ الأُخَيْطِلُ أُمَّهُ وكأَنَّها ... مَنْحَاةُ سانيةٍ تُدِيرُ مَحالَا[٤]

وَرَجا الأُخَيْطِلُ منْ سَفاهَةِ رأْيِهِ ... ما لَمْ يكنْ وَأَبٌ له لِينَالَا

خلِّ الطريقَ فَقدْ رَأَيْتَ قُرومَنا ... تَنْفِي القُرُومَ تخمُّطاً وَصِيالَا[٥]

نمَّتْ تميمِي يا أُخَيْطِلُ فاحْتَجِزْ ... خَزِيَ الأُخَيْطِلُ حينَ قُلتُ وَقالَا

خندف :

لوْ أَنَّ خِنْدِفَ زَاحَمَتْ أَركانُها ... جَبَلاً أَصمَّ منَ الجبالِ لَزَالَا

إنَّ القَوافِيَ قدْ أُمِرَّ مَرِيرُها ... لِبَنِي فَدَوْكَسَ إذ جَدَعْنَ عِقالَا[٦]

فرسان وخيل :

وَلقيتَ دُونِي منْ خُزَيْمَةَ مَعْشَرًا ... وَشَقَاشِقًا بَذَخَتْ عليكَ طِوَالا[٧]

---

(١) شعث : عليها غبار من شدة النضال .

(٢) كان هذا يوم الكحيل ويقال له : يوم مرج الكحيل ، وكان بين بنى فدوكس وتغلب على تميم بن الحباب وزفر بن الحارث .

(٣) الغثاء : ما حمله الماء من القماش . والخامعات : الضباع .

(٤) المنحاة : طريق السانية ما بين منتهى الرشا إلى البئر . والمحال : بكرة السانية .

(٥) القروم : الفحول . وتخمط البعير : هدره وعقده عنقه . وصياله : بطشه بالإبل والناس .

(٦) أمر مريرها : أحكم صنعتها . وجه عن : قطعن أنفه أى أذللنه .

(٧) روى : تدرأ مكان معشراً ، والتدرأ : العز . والشقاشق : شبهها بشقاشق الفحول وهدرها . وبذخت : طالت وشمخت .

رَاحَتْ خُزَيمَةَ بالجيادِ كأنّها عِقْبانُ مُدْجنةٍ نَفَضْنَ طِلالاَ
إنّا كذاكَ لِمِثْلِ ذَاكَ نُعِدُّها تُسقَى الحليبَ وَتشعَرُ الأجلالاَ[1]

يوم ذى بهدا وأسر الهذيل التغلبى :

ما كنتَ تَلقَى فى الحُروبِ فَوَارِسى مِيلاً إذا ركبوا وَلا أكْفالاَ[2]
صَبَّحنَ نِسوَةَ تَغلبٍ فسبَيْنها وَرَأى الهُذَيلُ لِوِرْدِهِنَّ رِعالاَ[3]
قَيْسٌ وَخِنْدِفُ إنْ عَدَدْتَ فَعَالهمْ خيرٌ وَأكْرَمُ من أبيكَ فَعالاَ[4]
إنْ حرَّمُوكَ لَتَحْرُمَنَّ عَلَى العِدَا أو حَلَّلوكَ لتُأكَلَنَّ حلالاَ
هلْ تملِكون منَ المَشاعر مشْعَراً أوْ تَنزِلون مِنَ الأَرَاكِ ظِلالا[5]
فَلنَحْنُ أكْرَمُ فى المنازلِ منْزِلاً منكمْ وَأطْوَلُ فى السماءِ جبالاَ
قُدْنا خُزَيمةَ قَدْ عَلمتمْ عَنْوَةً وشَتا الهُذيلُ يمارِسُ الأغلالاَ[6]
وَرَأتْ حُسَيْنَةُ بالعَذَابِ فَوَارِسى نحْوَ النِّهابِ وتَقْسِمُ الأنفالاَ[7]

هجاء مجاشع وتغلب :

أوْجَدْتَ فِينَا غَيْرَ غَدْرِ مُجاشِعٍ ومَجَرَّ جِعْثِنَ والزُّبيْرَ مقالاَ[8]

---

(١) الأجلال : جمع جل وهو للدابة كالثوب للإنسان . وتشعر الأجلال : تكرم بإلباسها الأجلال فوق شعرها كالشعار .

(٢) الأميل : الذى لا يثبت على الدابة . والكفل : الذى لا يقوم بأمر نفسه .

(٣) الهذيل بن هبيرة التغلبى ، وكان ذلك فى يوم ذى بهدا ليربوع على تغلب . والرعال : جماعات الخيل المتقدمة .

(٤) الفعال : الفعل الحسن .

(٥) الأراك : شجر يستاك بقضبانه ، طويل ناعم ، كثير الأوراق والأغصان ، وارف الظلال ، الواحدة أراكة .

(٦) عنوة : قسراً . شتا يمارس الأغلال : أمضى الشتاء فى القيود .

(٧) حسينة بنت جابر بن بجير العجلى . والعذاب : مستوى الرمل منقطعه ، وهو أيضاً يوم لبنى عبد مناة على عجل ويسمى يوم الصعاب .

(٨) جعثن : أخت الفرزدق ، وقد ذكرنا قصة سجنها للتسميع بها فى مكان آخر .
والزبير بن العوام غدر به بنو مجاشع وهو منصرف من وقعة الجمل ، فقتله عمر بن جرموز وسلبه

وَلَوَ انَّ تغْلِبَ جمَّعَتْ أحسابَها ... يَوْمَ التَّفاخُرِ لَمْ تزِنْ مثقَالاَ[١]

لاَ تَطْلُبَنَّ خُئُولَةً فى تغلبٍ ... فَالزَّنجُ أَكْرَمُ منهُمُ أَخْوَالاَ[٢]

وَرَمَيْتَ هَضْبَتَنا بأَفْوَقَ ناصِلٍ ... تَبْغِى النِّضالَ فَقَدْ لَقيتَ نِضالاَ[٣]

لوْلاَ الجِزا قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغلِبٌ ... فِى المُسلمِينَ فكنْتُمُ أَنْفالاَ[٤]

٤ ــ عُيون شعره

(١) قال محمد بن سلام رأيت أعرابياً من بنى أسد أعجبنى ظرفه وروايته، فسألته عن الفرزدق وجرير ، وقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير . قال فى الفخر[٥] :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تَميمٍ ... حَسِبتَ الناسَ كلَّهُمُ غِضاباً

والمديح قوله :

أَلستُمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المَطَايا ... وَأَنْدَى العَالمينَ بُطونَ راحِ[٦]

والهجاء قوله :

فغُضَّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ ... فلاَ كَعْباً بلغْتَ وَلا كِلاَبا

والنسيب قوله :

إنَّ العُيونَ التى فى طَرْفِها حَوَرٌ ... قتَلْننَا ثمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانا

وقال ابن سلام بل قوله :

فامَّا الْتَقَى الحيَّانِ أُلْقِيتْ العَصا ... وَماتَ الهوَى لَمّا أُصِيبَتْ مقَاتلُهْ

---

(١) وزن كل شىء : مثقاله . أراد لم يكن لها وزن .

(٢) روى ابن الشجرى : أن عبيد الزنج غضبوا من جرير حين قال هذا البيت .

(٣) الأفوق : السهم الذى لا فوق له . والناصل : الذى لا نصل له . وروى :

إن كنت رمت من السفاهة عزنا ... تبغى النضال فقد وجدت نضالا

(٤) الجزا : جمع جزية . والأنفال : الغنائم .

(٥) « الأغانى ومهذبه » و « طبقات فحول الشعراء » .

(٦) أندى : أسخى .

(ب) وأكثر الأدباء والنقاد يرون أن أجود بيت فى الرثاء قوله :

لَوْلاَ الحياءُ لعَادَنى استعبارُ ... ولزرْتُ قَبرَكِ والحبيبُ يُزَارُ[١]

وأصدق بيت قوله :

إنى لأَرْجو منْكَ خيرًا عاجلاً ... والنَّفْسُ مولَعَةٌ بحُبِّ العاجل

وأشد بيت تهكماً قوله :

زَعَم الفرَزْدَقُ أَنْ سيَقْتُلُ مِرْبَعاً ... أَبشِرْ بِطولِ سلاَمةٍ يا مِرْبَعُ[٢]

وأحسن بيت تشبيهاً قوله :

سَرَى نَحوَهُمْ لَيلٌ كأَنَّ نُجُومَهُ ... قَناديلُ فيهنَّ الذبال المفتَّل[٣]

أو قوله فى وصف خيل مضمرة :

وَطَوَى الطِّرَادُ بُطونَهُنَّ كأَنها ... طىّ التِّجارِ بحضْرَمَوْتَ بُرُودَا[٤]

(ح) ومن أبياته السائرة المشهورة قوله :

لاَ يَلْبَث القُرَناءُ أَنْ يتفرَّقوا ... ليلٌ يكرُّ عَليهمُ ونهارُ[٥]

وقوله :

لا يأْمَنَنَّ قَوِىٌّ نَقْضَ مِرَّتِه ... إنى أَرَى الدهْرَ ذا نقْض وإمْرَارِ[٦]

---

(١) روى : لهاجنى . الاستعبار : جريان الدمع من العين .

(٢) مربع : كنية لقب وعوعة بن سعيد راوية جرير .

(٣) الليل : الجيش الكثير . وشبه سلاحه بالقناديل والذبال المفتل ، الذبال : جمع ذبالة وهى الفتيلة . وذبال مفتل : شدد للكثرة .

(٤) روى : «وطوى الطراد مع القياد بطونها » ، الطراد : حمل الفارس على صاحبه ومقاتلته . التجار : جمع تاجر . البرود : الثياب .

(٥) القرناء : الأصحاب . يكر : يمر ويرجع مرة بعد مرة .

(٦) مرة : شدة وقوة . إمرار الحبل : فتله فتلا محكماً . والنقض : نكث الحبل بعد فتله .

وقوله:

وَإنى لَعَفُّ الفقر مُشْتَرَكُ الغِنَى ... سَريعٌ إذا لم أَرْضَ دارِى انتقاليا[١]

وقوله:

أنا البازِى المطِلُّ عَلَى كُمير ... أُتيحَ منَ السَّماءِ لها انْصِبابا[٢]

وقوله:

يُحالفُهُمْ فَقْرٌ قديمٌ وذِلةٌ ... وَبئْسَ الخَليطانِ الْمَذَلَّةُ والفقرُ[٣]

فَصَبرًا عَلَى ذُلٍّ رَبيعَ بنَ مالِك ... وكلُّ دَليلٍ خيرُ عادتهِ الصبْرُ[٤]

وقوله:

دَعَوْنَ الهوَى ثم ارْتَمينَ قُلوبنَا ... بأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صديقُ[٥]

أَوَانِسُ: أَمَّا مَنْ أَرَدْنَ عَنـاءَهُ ... فعانٍ ، ومنْ أَطلقْنَ فهُوَ طَليقُ[٦]

وقوله:

إنَّ الذينَ غَدوْا بِلُبِّكَ غادَروا ... وَشلاً بعيْنِكِ ما يزالُ مَعينا[٧]

غَيَّضْنَ مِنْ عبراتِهِنَّ وقُلن لى : ... ماذا لَقِيتَ مِنَ الهوَى ولَقِينا[٨]

---

(١) روى : احتاليا مكان انتقاليا .

(٢) البازى : الصقر . أتيح ؛ هيئ وقدر .

(٣) روى : بئس الخليطان .

(٤) ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع ،هجاهم جرير لإعانتهم بنى سليط .

(٥) ارتمين : هنا بمعنى رمين .

(٦) أوانس : جمع آنسة وهى فتاة حلوة الحديث ، طيبة النفس ، تميل إليها ، وتميل إليك ، فيأنس كل إلى صاحبه . العناء : الجهد والمشقة . العانى : الأسير .

(٧) غدوا : ساروا غدوة ، والغدوة : أول النهار . الوشل : الماء القليل أو الكثير يريد أن دمعه يتحدر شيئاً فشيئاً كلما عاودته الذكرى . المعين : الماء الجارى الظاهر .

(٨) غيض من عبراتهن : حبس الدمع حتى غاض .

وقوله :

يا أَهْلَ جُزْرَةَ إنى قدْ نَصَبْتُ لكمْ ... بالمِنْجَنِيقِ ولمَّا يُرْسَلِ الحجَرُ[١]

وقوله :

تُريدِينَ أَنْ أَرْضَى وأَنْتِ بخيلةٌ ... وَمَنْ ذا الذى يُرْضِى الأَخِلاَّءَ بالبُخْلِ
فإنَّك لاَ يَرْضَى إذا كانَ عاتِباً ... خَليلك إلَّا بالمَوَدَّةِ والبَذْلِ[٢]

وقوله :

يا تَيْمُ إنَّ بيُوتَكمْ تَيْمِيَّةٌ ... قُعْسُ العِمادِ قَصِيرَةُ الأَطْنابِ[٣]
قَوْمٌ إذا حَضَرَ الملوكَ وُفودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبوابِ

وقوله :

وكنتَ إذا نَزَلْتَ بدَارِ قَومٍ ... ظَعَنْتَ بخزْيَة وتَرَكْتَ عارَا[٤]

وقوله :

وابْنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ ... لمْ يستطِعْ صَوْلةَ البُزْلِ القناعِيسِ[٥]

---

(١) جزرة : ماء لبنى كعب بن العنبر .

(٢) العاتب : الغاضب المعاتب .

(٣) تيم الرباب وهم بنو تيم بن عبد مناة بن أد . والبيتان من هجاء جرير لعمرو بن لجأ التيمى . والقعس : جمع أقعس وقعساء ، التى خرج صدرها ودخل ظهرها . العماد للخباء : ما يقوم عليه ويرتفع . وأطناب الخباء : حباله التى يشد بها .

(٤) ظعن : ذهب . الخزية : ما يستحى منه الانسان من البلايا .

(٥) ابن اللبون : ولد الناقة الذى استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فهو ما زال ضعيفاً ، وأمه لبون لأنها تكون قد حملت مرة أخرى ووضعت وصارت ذات لبن : لزه : ألصقه وشده . والبعيران إذا قرنا فى قرن واحد فقد لزا . صولة : سطوة . البزل : جمع بازل وهو بعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه وانشق ، فاستجمع شبابه وقوته . فلا يستطيع ابن اللبون مجاراته على السير العنيف إذا ما لزا . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل العظيم الطويل السنمة .

وقوله :

لو كنْت حُرًّا يا ابن قَيْنِ مُجاشِعٍ ... شيَّعْتَ ضيْفَكَ فَرْسَخَيْنِ وَميلاَ[١]

وقوله :

لا يَستَطِيع أَخُو الصَّبابَةِ أَنْ يُرَى ... حَجرًا أَصَمَّ ، ولا يكونَ حديدَا[٢]

وقوله :

لوْ أَنَّ عُصْمَ عَمَايتينِ ويَذْبُلٍ ... سمعتْ حَدِيثَكِ أَنْزَلَ الأَوْعالاَ[٣]

وقوله :

قُلْ للْجَبان إذا تـأَخَّر سَرْجُهُ ... هلْ أَنْتَ منْ شرَك المنية ناجِى[٤]

---

(١) قين مجاشع : يعنى الفرزدق . ويقصد بالضيف هنا الزبير بن العوام غدر به قوم الفرزدق بعد وقعة الجمل .

(٢) ولا يكون : ولا أن يكون .

(٣) العصم : وعول فى أيديها بياض . عماية ويذبل : جبلان .

(٤) تأخر سرجه : عاقه الخوف عن شد حزام السرج . الشرك : ما ينصب لصيد الطائر . المنية : الموت .

المراجع

جرير : الديوان

أبو عبيدة : النقائض

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦

الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١

السباعى بيومى : مهذب الكامل

أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى

المرزوقى : شرح ديوان الحماسة

ابن قتيبة : المعارف

ابن قتيبة : الشعر والشعراء

البغدادى : خزانة الأدب

الشيخ الخضرى : مهذب الأغانى

المبرد : الكامل

ابن رشيق : العمدة

مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب

جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية

البلاذرى : أنساب الأشراف

ابن سلام : طبقات فحول الشعراء

obeikandl.com